عقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي في الفكر الديني اليهودي

د. محمود عبد الله الشال (*)

الملخص

تعد عقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي لليهود من أخطر العقائد التي تبين لنا سلوكهم وتعاملهم مع الآخر، وهى من ضمن القيم والقواعد والمبادئ الخاصة المستمدة من تراثهم الديني، هذه العقيدة تجمع اليهود حولها، وتوحد بين أفكارهم وطموحاتهم وأحلامهم المستقبلية، وهذا التفرد منبعه النظرة العنصرية التي تقسم البشر إلى قسمين مختلفين في المكانة والتكوين، بحيث يسمو القسم الأول – اليهود – ليحتكر الصفة الإنسانية فيه، بينما ينحطّ القسم الآخر – غير اليهود – الى مستوى الطبيعة الحيوانية البهيمية – وفق زعم اليهود، فالنظرة العنصرية اليهودية للآخر هي التي حددت سلوكهم تجاه الآخرين، ولم تكن تلك النظرة سرًّا بالنسبة لديهم، بل أنهم يجاهرون ويعتزون بها على أنها منهج حياة، وجزء من عقيدة صنعت لهم ماضيهم، ورسمت لهم مستقبلهم الذي يحلمون به، ويعملون على تحقيقه.

الكلمات المفتاحية: الاختيار، الاصطفاء، العهد القديم، التلمود.

(*) دكتوراه في الآداب والفلسفة – جامعة عين شمس.

Abstract

The doctrine of divine choice and preference for the Jews is one of the most dangerous beliefs that show us their behavior and their dealings with others, and it is among the special values, rules and principles derived from their religious heritage, this belief brings together Jews around it, and unites their ideas, aspirations and dreams for the future, and this uniqueness stems from the racist view that divides people To two different parts in stature and composition, so that the first part - the Jews - prevails in order to monopolize the human character in it, while the other part - the non-Jews - is reduced to the level of the animal nature of bestiality - according to the Jews' claim. The Jewish racist view of the other determined their behavior towards others, and it was not This view is a secret for them, but they profess and cherish it as a way of life, and part of a belief that made their past for them, and charted for them their future that they dream of, and work to achieve it.

Key words: Selection, Old Testament Talmud.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فإن العقيدة اليهودية تقوم على أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن الله تعالى قد اختارهم من بين خلقه، وأنه ميزهم من بين سائر الشعوب والأمم؛ ليكونوا عباده المختارين، فتغلغلت فكرة الشعب المختار في أعماق النفسية اليهودية حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الديانة اليهودية بحيث تصبح والعدم سواء إذا جردت منها.

والنظرة العنصرية اليهودية للآخر هي التي حددت سلوكهم تجاه الآخرين، ولم تكن تلك النظرة سراً بالنسبة لديهم، بل أنهم يجاهرون ويعتزون بها على أنها منهج حياة، وجزء من عقيدة صنعت لهم ماضيهم، ورسمت لهم مستقبلهم الذي يحلمون به، ويعملون على تحقيقه.

حيث يخضع اليهود في سلوكهم وتعاملهم مع الآخر إلى مجموعة من القيم والقواعد والمبادئ الخاصة المستمدة من تراثهم الديني. ولا يمكن لنا أن نفهم الشخصية اليهودية، وكيفية التعامل معها، ما لم نطّلع على تلك المجموعة من القيم والقواعد والمبادئ والعقائد التي تشكل الفكر الديني اليهودي، والاختيار والتفضيل الإلهي ما هي إلا جزء من تلك العقائد التي تفرد بها اليهود عن بقية البشر، وهذا التفرد منبعه النظرة العنصرية التي تقسم البشر إلى قسمين مختلفين في المكانة والتكوين، بحيث يسمو القسم الأول – اليهود – ليحتكر الصفة الإنسانية فيه، بينما ينحطّ القسم الآخر – غير اليهود – الى مستوى الطبيعة الحيوانية البهيمية – وفق زعمهم.

لذا يتعرض الباحث من خلال هذا البحث إلى جانب من عقائدهم التي يتمسكون بها، من خلال الاختيار والتفضيل الإلهي.

وتتركز إشكالية هذه الدراسة حول عقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي في الفكر الديني اليهودي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على الأسباب والدوافع التي أدت إلى اعتقاد اليهود بتفضلهم واختيارهم على سائر البشر من خلال دارسة النصوص الدالة على ذلك من كتبهم، ومصادرهم، وفكرهم، وعلمائهم.

أهداف الدراسة:

١- إلقاء الضوء على مفهوم عقيدة الاختيار والتفضيل في الفكر الديني اليهودي.

٢- الرد على استعلاء اليهود على باقي الأمم، وأن هذا الاعتياد نابع من فكرهم الديني الذي يقدسونه.

٣- الرد على التفضيل والاختيار عند اليهود.

٤- حاجة المكتبة العربية والإسلامية لمزيد من هذه الدراسات.

إشكالية الدراسة:

- ما هي شروط التفضيل والاختيار؟

- هل كان لهذا التفضيل والاختيار أسباب وشروط، أم أنهم فُضلوا لمجرد نسبهم؟

- هل تحققت تلك الشروط فيهم؟، وإن كانت تحققت في زمن ما، فهل ما زالت متحققة فيهم إلى الآن؟

منهج الدارسة:

لقد تطلبت الدراسة في هذا البحث عدم الاكتفاء بمنهج واحد من مناهج البحث العلمي، بل اقتضى الأمر استخدام منهجين من مناهج البحث العلمي؛ حتى يمكن الوصول إلى النتائج الصحيحة، ومنها:

١- المنهج الوصفي:

حيث استخدمت هذا المنهج من خلال عرضي لنصوص العهد القديم والتلمود والكتب اليهودية في مجال موضوع البحث حتى يمكن التعرف على هذه العقيدة.

٢- المنهج التحليلي:

وقد استخدمت هذا المنهج في تحليل رؤية اليهود لعقيدة الاختيار والاصطفاء.

الدارسات السابقة:

لم أجد في الدراسات السابقة من تحدث أو تعرض لعقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي في الفكر الديني اليهودي، كبحث مستقل بالعنوان السابق، بل إن هناك دراسة تناولت " أثر مفهومي الاختيار والعهد الإلهي في صياغة الفكر الديني اليهودي والفكر السياسي الصهيوني من خلال قصتي إبراهيم ويعقوب وموقف الإسلام منهما " للباحث (بدر الحموي)، و(رشيد مستقيم)، بحث نشر في مجلة مدارات تاريخية: مجلة دورية دولية أكاديمية محكمة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - مركز المدار المعرفي للأبحاث و الدراسات، الجزائر، المجلد الأول – العدد الثالث – سبتمبر ٢٠١٩ . حيث بين هذا البحث أثر الاختيار والعهد الإلهي من خلال التركيز على عصر الآباء، وخاصة (إبراهيم ويعقوب) - عليهما السلام – مشيرين إلى قصة (نوح) – عليه السلام – التي بدأ فيها التلميح إلى هذه العقائد مبرزين مدى تأسيس هذه المرحلة (عصر الآباء) لتلك المفاهيم، وكيف استغلها الفكر الصهيوني. وبين نظرة الإسلام لكل من قصتي (إبراهيم ويعقوب) – عليهما السلام –.

أما عن دراستي هذه فإنها تتخصص في موضوع عقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي في الفكر الديني من خلال دراسة وتحليل النصوص الدالة على ذلك من مصادر اليهود وكتبهم المقدسة باعتبارها القاعدة الأساسية التي تنطلق منها نظرة اليهود لأنفسهم ولغيرهم، وتوعية القارئ بمدى تأثير هذه العقيدة في تشكيل الشخصية اليهودية، وتأثير هذه الشخصية في الواقع المحيط بها.

خطة البحث:

يقع البحث في: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

في المقدمة يتناول الباحث أهمية البحث، وإشكالية الدراسة، وأهداف البحث، والمنهج المستخدم، وخطة الدراسة.

والتمهيد: خصصته لتحديد بعض مفاهيم مفردات عنوان البحث.

وجاء المبحث الأول بعنوان: الاختيار والتفضيل الإلهي في الفكر اليهودي.

والمبحث الثاني بعنوان: الرد على التفضيل والاختيار عند اليهود.

وخاتمة البحث وأهم النتائج، وثبت بالمصادر والمراجع.

التمهيد

التعريف بمفردات الدراسة:

يبدأ البحث بالتعريف ببعض مفردات الدراسة؛ لتتكون في ذهن القارئ صورة أولية عن مراد الباحث من عنوان بحثه. وأتناول هذا التعريف على النحو الآتي:

مفهوم الاختيار في اللغة والاصطلاح:

ن خلال المعاجم والقواميس العربية يظهر أن الاختيار مشتق من اختار وخُيّر وخيرك واستخارة وهي: أن تسأل خير الأمرين لك (١)، ويفيد الانتقاء والاصطفاء أي أخذ صفوة الشيء وخياره، وهو بمعني الاصطفاء والإيثار والتفضيل، حيث جاء في لسان العرب خير: الخَيْرُ: ضد الشر، وجمعه خُيور. وخارَهُ على صاحبه خَيْراً وخِيَرَةً وخَيَّرَهُ: فَضَّله. قال الله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التوبة: ٨٨)؛ جمع خيْرة وهي الفاضلة من كل شي. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾(الأعراف: ١٥٥)، والاختيار: الاصطفاء وكذلك التَّخَيُّرُ (٢). إذن يبين التعريف أن الاختيار يكون لخير وفضل في المختار جعله مصطفى ومفضلا على غيره. وبناء عليه أرى أن الاختيار هو اصطفاء شخص أو شيء؛ لفضله ولما انفرد به من خصائص فاق بها غيره، وذلك فى الأشخاص والأمم والأماكن، قال تعالي: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (طه: ١٣).

أما في اللغة العبرية فهو من الفعل בחר فيعني انتخب وانتقي وفضل ورجح وأحب واصطفي واختار، والاسم מבחר يعنى مختار ومنتقي ومصطفي(٣).

إذا، من المعنى العربي والعبري، يبدو المقصود هو الشعب المختار، والشعب المصطفى، والمجتبى، والمميز على سواء من الشعوب والأمم الأخرى لأداء مهمة معينية.

١- أبو الحسين احمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار: الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، جـ ٢، صـ ٢٣٢.

٢ - ابن منظور جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، دار: صادر، بيروت، لبان، ط٣، ١٤١٤هـ، جـ ٤، صـ ٢٦٥؛ جـ ٦، صـ ٣٢٦.

٣ - يحزقيل قوجمان، قاموس عبري - عربي، مكتبة المحتسب، عمان، الأردن، ١٩٧٠م، صـ ٦٤.

والاختيار في الاصطلاح يجعل من الإله يهوه ذاتا مختارة ومن الشعب اليهودي موضوعا مختارا (٤). والمركب الإضافي העם הנבחר أي الشعب المختار هي العقيدة التي يؤمن بها اليهود وهو تعبير عن حب يهوه لهذا الشعب واختياره دونا عن باقي الشعوب والذي تمظهر في نداء الآباء (سفر التكوين (١٢: ١-٣) وتحرير ذريتهم (٥).

اما مصطلح "الشعب المختار" ترجمة للعبارة العبرية העם הנבחר، ويوجد معنى الاختيار في عبارة أخرى مثل: אתה בחרתנו، ועם סגולה، أو עם נחלה . ويؤمن الكثير من اليهود بأنهم شعب الله المختار وأن هذه المقولة لبنة أساسية في الفكر الديني اليهودي، وتعبير آخر عن النسج الحلولي الذي تشكل داخل التركيب التراكمي للديانة اليهودية. والثالوث الحلولي مكون من الإله والأرض والشعب، فيحل الإله في الأرض، لتصبح أرضاً مقدسة ومركزاً للكون، ويحل في الشعب ليصبح شعباً مختاراً، ومقدساً وأزلياً. كما يشار إلى الشعب اليهودي بأنه עם קדוש، עם עולם، עם נצח (٦).

مفهوم التفضيل ومجالاته:

التّفضيل في اللغة: مصدر فَضَّلَ يُفَضِّلُ بالتضعيف، يقال: فَضّلتُهُ على غيره تَفضيلاً، أي حكمت له بذلك وصيرته كذلك، وجعلته أفضل منه، وأفضل عليه: زاد(٧)، فهو يدل على زيادة في شيء، ومن ذلك الفضل: الزيادة، يقال: "فَضَلَ الشيء يَفضُل، وربما قالوا: فَضِل يفضُل وهي نادرة"(٨)، والفضل في القدر غير

---

٤ - عز الدين عليلو، وكريمة نور عيساوي وعبد الكريم بولحدو، الديانات السماية الكلمات المفاتيح (اليهودية)، تقديم وتنسيق: سعيد كفايتي ومحمد زهير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. سايس- فاس، المغرب، ط١، ٢٠١١م، صـ ١٧١.

٥ - المرجع السابق، صـ ١٧١.

٦ - انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار: الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م، جـ ٥، صـ ٧٢.

٧ - انظر: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب المحيط، قدم له: عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ت، جـ ٢، صـ ١١٠٥.

٨- أبو الحسين احمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، مرجع سابق، جـ ٤، صـ ٥٠٨.

التَّفَضُّل الذي بمعنى الإفضال والتطوّل(٩) ومن الأول قوله تعالى: ﴿ مَا هَذَا إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ (المؤمنون: ٤٢)، ويعدى بحرف الجر (على) قال ﴿ ﷻوَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠) قيل: "تأويله أنّ الله فضّلهم بالتّمييز"(١٠) .

يلاحظ أنّ الجذر (ف - ض - ل) في المعجم لا يدل إلا على الزيادة الحسنة في مدح أو كمال، لكن هذه الزيادة في الاصطلاح يراد بها الزيادة المطلقة في كمال أو نقص.

والفضل في اللغة ضد النقص، والفضيلة هي الدرجة الرفيعة العالية، وأفضلَ عليه في الحسب أي زاد (١١)، وفلان يتفضل على قومه أي يدعي الفضل عليهم والمفضول هو المغلوب (١٢).

إذا، المعنى اللغوي يرجع إلى الزيادة وهي ضد النقص، فما يقابلها يدل على النقص، لذلك تستعمل أفعال التفضيل للمقارنة بين شيئين أحدهما أعلى وأرفع من الآخر، وقد يكون التفضيل بين شيئين أو أكثر، ومجالات التفضيل كثيرة، فقد تكون بأمور مادية حسية أو معنوية، كأن يقال: فلان أفضل من فلان من حيث المال أو المسكن أو الملبس، وقد يقال فلان أفضل من حيث النسب أو المنزلة أو العلم وغيرها، وليس المراد من هذا البحث الكلام عن الاختلافات الفطرية والجبلية التي وجدت مع الناس في أصل الخلقة فهو أمر مسلَّم به بين كل العقلاء من أهل الأديان وغيرهم، فهناك تفاوت من حيث الجبلة بين الذكر والأنثى والأبيض والأسود والطويل والقصير، وهناك اختلافات في البيئة واللغة واللون والنسب والحسب، فليس هناك تنازع في إثبات ذلك وإقراره، وإنما المراد الكشف عن أثر هذه

٩- انظر: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) تحقيق: مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، العين، دار: الرشيد، بغداد، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ٤٤/٧.

١٠- لسان العرب المحيط، مرجع سابق، جـ ٢، صـ ١١٠٥.

١١ - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة رسالة، بيروت، لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، صـ ١٠٤٣.

١٢ - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار: الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، جـ ٢ صـ ٢٦.

الاختلافات في إنسانية صاحبها وحقوقه وواجباته، وهل يمكن أن يكون للوراثة أثر تفضيلي لمجرد الوراثة، وما يقال عن الوراثة يقال أيضا على اللون واللغة والعِرق.

لا ينكر أن العصبية المقيتة والعنصرية البغيضة تجعل صاحبها أسيراً لكبريائه وتعاليه، ينظر إلى نفسه على أنه أرقى الكائنات وأعظم المخلوقات، دمه نقي ولونه بهي وعنصره ثمين، يفضل نفسه على سائر النفوس، ويرى الفضل على غيره دون مسوغات شرعية أو عقلية، ويتفاخر على من هو مثله ويتعالى ربما على من هو أسمى منه علماً وخُلقا (١٣).

هكذا نظر اليهود إلى غيرهم عبر التاريخ على أنهم مختارون ومفضلون، حيث أسست تلك النظرة على أسس دينية مستوحاة من أساطير فكرهم الديني الذي يقدسونه.

المبحث الأول

الاختيار والتفضيل في الفكر اليهودي

يعد مفهوم الاختيار أحد الأفكار المركزية في تاريخ الفكر اليهودي، وهو متجذر في التصورات التوراتية، وتطوّر مع التلمود، ومع الفلسفة اليهودية، والتصوف اليهودي واليهودية المعاصرة (١٤)، ولا يعني هذا أنَّ فكرة خصوصية شعب في علاقته مع الإله حكر على الفكر الإسرائيلي. حيث يشير (سميث) إلى أنَّ عددا كبيرا من الباحثين في الديانات المقارنة قد أوضحوا مقتنعًا بأن فكرة الشعب المختار كانت فكرة منتشرة بين الأمم والشعوب الأخرى فقد كان للملوك بابل وآشور علاقة خاصة مع الهتهم؛ فنجد سارجون الأوَّل يشير إلى عناية عشتار به فيقول: "عشتار اعتنت بي بحب... طوال أيام حكمي"، ونجد حمورابي يقول "إنَّه الملك الذي أسعدت أفعاله مردوخ، إنني مختار شاماش ومحبوب مردوخ". وقد انسحب اختيار وتفضيل الملوك على الأرض أيضًا، فأصبحت أرض آشور يطلق عليها أرض مردوخ، على غرار أرض يهوا، كما أصبحت الحروب التي يخوضها هؤلاء هي حروب مردوخ، وحروب يهوا. ويستنتج (سميث) أنه ليس ثمَّة فرق

١٣ - يراجع بتصرف: التفاضل بين البشر أثر الجنس والعرق والوراثة- دراسة مقارنة بين الشريعة والفلسفة، على الموقع:
https://www.b-sociology.com/2020/07/pdf_16.html

14 - ENCYCLOPEDIA JUDAICA, JERSUSALEM,1992, vol.5, 498.

جوهري بين التَّصور الآشوري والبابلي للاختيار الإلهي والتَّصور العبري (١٥). وبوجه عام تتكوّن هذه الفكرة من عنصرين رئيسيين:

١- نزعة تعال وتفاخر بالأمّة والجنس.

٢- إيمان شديد بيهوا، وأنَّ إسرائيل ممثّل يهوا بين الأمم والشعوب (١٦).

وفكرة الشعب المختار تعد هي المرتكز الأساس لولادة الاستعلاء والتعصب في الفكر الصهيوني المعاصر، ومؤدى هذه الفكرة أن الشعب اليهودي هو شعب مختار، اختاره الإله وفضله على العالمين وميزه على الخلق(١٧)، حيث يعتقد اليهود من خلال ما دونه حاخاماتهم(١٨)، وعلمائهم في مصادرهم التوراتية، والتلمودية، أنهم شعب اختاره الله، واصطفاه دون الشعوب الأخرى، وظهرت هذه العقيدة عندهم منذ عهد الأنبياء الأوائل في القرن الثامن قبل الميلاد، واستمرت حتى تدمير آخر معالم الاستقلال السياسي لليهود في فارس، وفلسطين في القرن الخامس الميلادي، وبرغم الهزيمة، والاندثار الذي منوا به عبر القرون، والحروب الطاحنة، لم تزل عقيدة الشعب المختار راسخة في الذهنية اليهودية، وتشكل النواة الأسطورية لحياة اليهود السياسية(١٩). ومن خلالها تتضح رؤيتهم لأنفسهم، كما وتعكس نظرتهم للآخرين، وكيفية التعامل معهم، مستندين في ذلك على نصوص وردت في مصادرهم المقدسة.

حيث اشتملت المصادر اليهودية على جملة من النصوص التي يتعلق بها اليهود ويزعمون أنها تدل على اختيارهم؛ حيث ينظر اليهود إلى أنفسهم أنهم

---

15 - J.M.Powis Smith , The Chosen People , The American Journal of Semitic Language & Literature , Vol.XLV , January ,1929 p 74 - 75.

16 - J.M.Powis Smith , The Chosen People , Vol.XLV , January ,1929 . p 73.

١٧ - عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار: الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م، جـ ٥، صـ ٧٤؛ معين أحمد محمود، الصهيونية والنازية، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ١٩٧١م، صـ ٢٤.

١٨ - الحاخام: وردت هذه الكلمة في صيغة الجمع، وتعنى الأحبار (وهو لقب شرف يمنح لكل يهودى ضليع بالعلوم الدينية ولا سيما لدى اليهود الشرقيين) والحكيم، والحاخام الأكبر هو الرئيس الدينى للطائفة ويتمتع بسلطات غير محدودة، وهو ممثل الطائفة أمام النظام الحاكم، وجيه محمد إبراهيم محمد معوض، الحرب عند بنى إسرائيل من خلال العهد القديم، رسالة دكتوراه، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، صـ ٢٧.

١٩- انظر: د. جمال البدري، السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، دار: الأوائل للطباعة والنشر دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٣م.

مختارون ومفضلون على الناس جميعاً، وأن هذا التفضيل جاء بناء على الاختيار والاصطفاء من الله، ولقد كان مستند اليهود في نظرية الاختيار الإلهي لهم هي نصوصهم التي يقدسونها.

وأن هذا الاختيار في اعتقادهم هو برنامج إلهي فيهم يعاقب الله الأمم الأخرى، وهم الذين يبقون وحدهم في آخر الزمان متسلطين على رقاب العالم كذلك فإنهم يسمون أنفسهم «الشعب الأبدي» و «الشعب الأزلي» حيث يعتقدون أنهم - والعياذ بالله - مثل الله لا أول لهم ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية والشعب المقدس »(٢٠).وهذه العقيدة التي توضح الرؤية اليهودية لأنفسهم، وتعكس نظرتهم للآخرين، وكيفية التعامل معهم، ولهذه العقيدة أصول ثابتة في الكتابات اليهودية المقدسة(٢١).

والاعتماد الأول في التدليل على النصوص الأساسية؛ "لأنها هي التي تعبر تعبيرا منظما عن المعتقدات، وبيان مصدرها وسلطتها"(٢٢)؛ فـــ " النصوص الدينية هي أهم مصادر معرفة الأديان المختلفة لأنه من خلال النصوص الدينية الأساسية يتم الحصول على المعرفة الدينية المباشرة بعيدا عن الظنون والتأويلات الوهمية التي لا تستند إلى نص ديني مباشر. وقد أصبح التعامل مع النصوص الأساسية جزءا من المنهجية العلمية في دراسة الأديان الأخرى" (٢٣). ونحاول أن نوضح فيما يلي ما ورد في كتب اليهود وإشارات لمفهوم الاختيار والتفضيل الإلهي في فكرهم الديني وعلمائهم والفرق والحركات اليهودية.

---

٢٠ - د. رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٦ م، صـ ٢٩.

٢١ - د. محمد خليفة حسن، الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٤، د.ت، صـ ١٧٢بتصرف.

٢٢ - المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، تعريب وتصنيف وتقديم: د. سهيل ذكار، دار: الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، جـ ٢، صـ ٥٩٥.

٢٣ - د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ترجمة متن التلمود (المشنا)، ترجمة وتعليق: د. مصطفى عبد المعبود، تقديم: أ د. محمد خليفة حسن، مكتبة النافذة، ٢٠٠٧ م، جـ٤، صـ ٣، بتصرف يسير، من مقدمة د. محمد خليفة حسن.

الاختيار والاصطفاء في العهد القديم (٢٤):

إن أول وأخطر الجذور القديمة على البشر، والتي استند عليها اليهود في ممارساتهم وسلوكهم ونظرتهم للآخرين هي فكرة الشعب المختار (٢٥)؛ إذ كان لمفهوم الاختيار والتفضيل لدى اليهود بالغ الأثر على ممارستهم تجاه الأغيار، إذ زعمت مصادرهم الفكرية أن الله (تعالى عن قولهم) قد اختارهم من بين البشر ليكون لهم إله دون سائر الناس، ومقابل ذلك يكون له شعب وأمة مقدسة.

والاعتقاد في أن اليهود هم "شعب الله المختار" اعتقاد له أصول ثابتة في الديانة اليهودية، حيث يسهم في البناء العام لليهودية كدين، فلقد جاء في العهد القديم الكثير من النصوص التي تدل على ذ لك؛ حيث تزخر أسفار العهد القديم بتعابير كثيرة تؤكد على اعتقاد اليهود بأن الله فضلهم واختارهم من بين جميع شعوب الأرض؛ ليكونوا شعبه الخاص الذي نال هذا الاختيار بعد أن أصبح شعبا مقدس وأزليا، والنصوص الدالة على اختيار الإله لهم كثيرة منها: "فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ، ... فَاخْتَارَ مِنْ بَعْدِهِمْ نَسْلَهُمُ الَّذِي هُوَ أَنْتُمْ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ"(٢٦)."طُوبَى لِلأُمَّةِ الَّتِي الرَّبُّ إِلهُهَا، الشَّعْبَ الَّذِي اخْتَارَهُ مِيرَاثًا لِنَفْسِهِ"(٢٧)." إِنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيَكُونَ لَكُمْ إِلهًا. فَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ" (٢٨).

ومفهوم الاختيار في التوراة من أهم المفاهيم العقدية في الفكر الديني اليهودي، يقول الفيلسوف الألماني (كوهلر): " إِنَّ الفكرة المركزية في اللاهوت اليهودي

---

٢٤ - العهد القديم: هو المصدر الأول للتشريع في الديانة اليهودية، ويشتمل على ثلاثة أقسام: التوراة، والأنبياء، والمكتوبات، على الترتيب، ويُطلَق عليه اختصارًا مسمى [تناخ-תנ"ך]، حيث إن حرف التاء، يُعبِّر عن الحرف الأول من كلمة "תורה-توراة"، كما يُعبِّر حرف النون عن الحرف الأول من كلمة "נביאים-أنبياء"، فضلاً عن أن حرف الكاف، يُعبِّر عن الحرف الأول من كلمة "כתובים-مكتوبات". والمُسَمَّى "تناخ"، مُسمَّى خاص بالعقيدة اليهودية، أما مُسَمَّى "العهد القديم"، فخاص بالعقيدة المسيحية.

٢٥ - محمد عزة دروزة، الجذور القديمة لأحداث بني إسرائيل واليهود وسلوكهم وأخلاقهم، مكتبة أطلس، دمشق، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م، صـ ٧.

٢٦ - التثنية: ١٠: ١٢-١٥.

٢٧ - مزمور:٣٣/ ١٢.

٢٨ - اللاويين: ١١/ ٤٥.

ومفتاح فهم طبيعة اليهودية أنَّ الله اختار إسرائيل كشعب له"(٢٩)، كما جاء: " فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً"(٣٠).

وبحسب مرويات العهد القديم يبين الرب - رب إسرائيل- لماذا اختارهم من دون سائر الشعوب؟ وماذا يجب عليهم أن يفعلوا في هذه الشعوب الأخرى؟ فقال: " وَلكِنْ هكَذَا تَفْعَلُونَ بِهِمْ: تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتُقَطِّعُونَ سَوَارِيَهُمْ، وَتُحْرِقُونَ تَمَاثِيلَهُمْ بِالنَّارِ. لأَنَّكَ أَنْتَ **شَعْبٌ مُقَدَّسٌ** لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ، أَخْرَجَكُمُ الرَّبُّ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ"(٣١).

وتجدر الإشارة إلى أن جملة "الشعب المقدس" كناية عن شعب إسرائيل في الكتاب المقدس (٣٢). قد تكررت في نفس السفر عدة مرات (٣٣)، منها":لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"(٣٤).

ثم يوضح كيف يجعله الرب مستعليًا على كل الأغيار، فبدأ الأمر بالاستعلاء العنصري ضد الأغيار من التعاليم الدينية؛ لأنهم شعبه المقدس الذي اختاره له: " وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُسْتَعْلِيًا عَلَى جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الثَّنَاءِ وَالاسْمِ وَالْبَهَاءِ، وَأَنْ تَكُونَ **شَعْبًا مُقَدَّسًا** لِلرَّبِّ إِلهِكَ، كَمَا قَالَ"(٣٥)، وفي سفر اللاويين نطالع: " وَأُسَيِّرُ

29 - Kohler, Jewish Theology, Macmillan Company ,New York,1918, p 329.

٣٠ - الخروج: ١٩/ ٥-٦.

٣١ - التثنية ٧/٥-٨.

٣٢ - דוד שגיב, ע' עַם קָדוֹש.

٣٣ - אבן שושן, אברהם: קונקורדנציה חדשה, לתורה נביאים וכתובים, אוצר לשון המקרא עברית וארמית ,שרשים, מלים שמות פרטיים. צרופים ונרדפים. הוצאת" קרית ספר, ירושלים ١٩٨٧ , ע - ' עַם קָדוֹש..

٣٤ - التثنية: ١٤: ٢.

٣٥ - التثنية: ٢٦: ١٩.

بَيْنَكُمْ وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِّي شَعْبًا"، وايضا: " أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمُ الَّذِي مَيَّزَكُمْ مِّنَ الشُّعُوبِّ" (٣٦). وهنا يصف كاتب السفر "الإله" بأنه يميل إليهم وحدهم، وكيف لا وهو يميزهم من بين الشعوب، وأنه "مهما صنع بنو إسرائيل، وتخلوا عن فرائضه، فإنه لا يتخلى عنهم؛ لأنهم شعبه، ويرحمهم من أجل آبائهم القديسين الذين أحبهم وأحبوه"(٣٧). وهذا يوضح "اختلافهم عن بقية الشعوب الأخرى؛ لأن كل أعمالهم ستكون من أجل الجنة"(٣٨). لكن الهدف وفقاً لتفسير "راشي"(٣٩) لهذه الفقرة هو: "أن الرب حفظهم لئلا يقعوا في الخطايا، وفي ذلك إشارة إلى القيادة الخاصة لإله إسرائيل، الذي يراقبنا مراقبة خاصة"(٤٠)، حيث ورد نفس المعنى الذي يميزهم عن جميع الشعوب كذلك في سفر التثنية، بل تجاوز ذلك، أن ميز حتى بهائمهم، فقال: " مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. لاَ يَكُونُ عَقِيمٌ وَلاَ عَاقِرٌ فِيكَ وَلاَ فِي بَهَائِمِكَ"(٤١).

من خلال النصوص السابقة يتبين أن إله إسرائيل قد أكد على مثل هذه الخصوصيات التي يرى أنها موجودة في الشعب المختار لشعب بني إسرائيل، وأنه حفظهم حتى لا يقعوا في الخطايا، فهو شعب مقدس يعلو فوق الشعوب ويتفرد بهذه السمة غير الحقيقية.

---

٣٦ - اللاوين: ١٢/٢٦، ٢٠/ ٢٤.

٣٧ - د. عماد علي عبدالسميع حسين، الإسلام واليهودية، دارسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، دار: الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، صـ ١٠٨.

٣٨ - קארף, משה מרדכי: ספר ויבינו במקרא - ויקרא נדפס בארץ ישראל, קרית ספר, ירושלים תש"ע , עמ' ١٦٨؛גם עיין: שיינערמאן, משה יוסף: ספר אהל משה על התורה - ספר ויקרא – ברוקלין ניו יארק, תש"ע , עמ' ٤٠١؛ קרקובסקי, מנחם מוילנה: ספר ארזי הלבנון - קבץ דרשות – יצא לאור ע"י אלמנת הגאון המחבר, הרבנית בדנה בת הגאון، רבן של ישראל רבני א ליהו הלוי פיינשטיין זצ"ל، וילנה שנת תרצ"ו، עמ' ٦٦.

٣٩ - راشي ר"שי: هو فقيه وفيلسوف يهودي ولد في فرنسا له العديد من المؤلفات التي تركت أثارها على المفكرين اليهود، وابتدع خطاً عبرياً جديداً حمل اسمه للمزيد انظر: יצחק, ספיבק,רש"י, תקופתו, תולדתיו, פועל חייו, והשפעתו בדורות, ירושלים, ١٩٦٩, מהדורה שניה, עמ٣٩ -٤٠؛ عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، م ٥، صـ ١٥٨.

٤٠ - גולדוסר, יצחק פינחס בן יהודה ספר מי זהבעל – הערות וביאורים, רעיונות וחידושים על סדר פרשיות תורה שבכתב, תשס"ה בני - ברק، עמ' ٤٨٢.

٤١ - التثنية: ١٠: ٧-١٤.

حتى أصبح هؤلاء اليهود على قناعة بأنهم هم أفضل الشعوب، وأعظمهم، ومن حقهم أن تكون لهم السيادة، وليس عجيبًا بعد هذا أن نرى عددًا كبيرًا من مؤرخيهم وزعمائهم، يرون أن لهم رسالة عالمية، عليهم أن يوصلوها إلى الشعوب الأخرى، وأن مفهوم (الشعب اليهودي المختار) يتضمن الاختيار لتأدية هذه المهمة..." ويقول العهد القديم أيضا: " شَعْبِي بَيْتُ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: .... أُنَاسٌ أَنْتُمْ"(٤٣)، لقد حصر العهد القديم الإنسانية في اليهود وجعل الإنسان هو اليهودي فقال: "إِلَى مَتَى تَهْجِمُونَ عَلَى الإِنْسَانِ؟ تَهْدِمُونَهُ كُلُّكُمْ كَحَائِطٍ مُنْقَضٍّ، كَجِدَارٍ وَاقِعٍ! إِنَّمَا يَتَآمَرُونَ لِيَدْفَعُوهُ عَنْ شَرَفِهِ. يَرْضَوْنَ بِالْكَذِبِ. بِأَفْوَاهِهِمْ يُبَارِكُونَ وَبِقُلُوبِهِمْ يَلْعَنُونَ (٤٤) والسياق من المزمور الستين إلى هذا يدل على أن المقصود بالإنسان هو اليهودي إذ هم يتضرع للخلاص ممن ظلمهم، بل ربما الفقرة الثانية عشر من الإصحاح الستين تشير إلى ذلك. وهذا ما فهمه الحاخامات من تلك النصوص فكانوا يعملون أن قبور الأمميين لا تسبب الدنس من خلال الوقوف على القبور أو الانحناء عليه، لأنه مكتوب " وَأَنْتُمْ يَا غَنَمِي، غَنَمُ مَرْعَايَ، أُنَاسٌ أَنْتُمْ"(٤٥) فأنتم تدعون أناسا (من آدام- آدميون)، وأما الوثنيون فليسوا يدعون أناسا، وكان كاهن يهودي يقف في مقبرة، فلما سئل عن سبب وقوفه بانتهاك بَيَّن لشريعة موسى، أجاب بأن هذا الأمر مسموح، إذ أن الشريعة تمنع اليهود من ملامسة القبور البشر (الآدميين) فحسب، وأنه كان يقف في مقبرة للأمميين(٤٦) وساق الدليل السابق.

ولقد ترتب على ذلك أن جعلوا حق عبادة هذه الآله حصرا فيهم وحقا أصيلا لهم وليس من حق الشعوب الأخرى عبادته مستندين على ما يقدسون من النصوص التي تقول:

---

٤٢ - هشام محمد أبو حاكمه، الأساطير المؤسسة للتاريخ الإسرائيلي القديم، دار: اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، دار: الجيل، عمان، الأردن، ٢٠١٤م، صـ٢٥٦.

٤٣ - حزقيال: ٣٤/٣١.

٤٤ - مزمور:٦٢/ ٣-٤.

٤٥ - حزقيال: ٣٤/٣١.

٤٦ - د. أحمد ايبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، دار قتيبة، دمشق، سوريا، طـ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م، صـ ٣٩٦.

" أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيَكُونَ لَكُمْ إِلهًا"(٤٧)" وَثَبَّتَّ لِنَفْسِكَ شَعْبَكَ إِسْرَائِيلَ، شَعْبًا لِنَفْسِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَأَنْتَ يَا رَبُّ صِرْتَ لَهُمْ إِلهًا"(٤٨)، " أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيُعْطِيَكُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ، فَيَكُونَ لَكُمْ إِلهًا"(٤٩)، لكن هذه العبقرية الصهيونية التي صاغت تلك الركائز جعلت من شعبا يتفجر حقدا وتشفيا بالعدو الذى يزعم أنه سلبه ملكه، وهذا كان له بالغ الأثر في الممارسات اليهودية القديمة والمعاصرة التي تنطلق من هذه العنصرية البغيضة(٥٠).

وإن هذه النظرة الخطيرة من العنصرية البغيضة استمدها اليهود من الركائز التي قام عليها كتابهم المقدس؛ فنص سفر التكوين الذي جاء الوعد الإلهي فيه لإبراهيم " بأن يجعله الله لأمة عظيمة مباركة ....، وأن يبارك مباركيه، ويلعن لاعنيه (٥١)، والعهد القديم لا يذكر سببا لهذه المباركة ولا لتلك اللعنة مما يجعل منه أساسا صالحا لبناء العنصرية إذ العنصرية تقول: أنا أفضل منك لأني أنا. قلب العهد القديم من أوله إلى آخره فلن تجد فيه تعليل لاستحقاق هذا الجنس التميز والعهد علما أن ما حدث في التاريخ العبري مبنى بناء سببيا مباشرا على نظرية الاختيار والعهد الذى لا علة له بل هو علة كل أحداث التاريخ العبري؛ بل هو العلة الأولى التي لا تفسير ولا دعي ولا سبب لها رغم أن الجنس العبري قد اتخذ هذا النص أساسا للانفراد به عن سائر البشر وتفوقهم عليهم وانفر اديتهم عن الناس، وأفضليتهم على جميع المخلوقات لا من وجهة نظرهم هم بل من وجهة نظر الخالق لذا كان موقفهم من الأمم الأخرى موقف المختار الذى يتمتع بحقوق ليست لغيره وهم لذلك يفتخرون بأنهم أبناء إبراهيم عليه السلام؛ الذى اختير وفضل على العالمين،

٤٧ - العدد: ١٥/ ٤١.
٤٨ - صموئيل الثاني: ٧/ ٢٤.
٤٩ - اللاويين: ٢٥/ ٣٨.
٥٠ - د. إسماعيل راجى الفاروقي، أصول الصهيونية فى الدين اليهودي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، صـ صـ ٧٠،٧١.
٥١ - التكوين: ١٢/ ٢-٣.

والاختيار – في نظرهم – ليس لإبراهيم ﷺ فحسب، بل لأبنائه وسلالته لا لعلة تبرر ذلك الاختيار(٥٢).

بل ذهب اليهود لأكثر من ذلك فجعلوا التفضيل الإلهي لهم عقدا دخل فيه الإله من جانب واحد لذا فهو ملزم للأبد فمباركة الإله لإبراهيم ﷺ قائمة مهما حصل إذ هي أزلية لن تتبدل، وأفضلية اليهود – هي الأخرى- أزلية لن تتغير رغم فعلهم التي لا ترضى الإله الذي اختارهم من بين الشعوب ليكونوا له شعبا ويكون لهم إلها، واليهود يسمون أنفسهم (شعب الميثاق) إشارة إلى هذا العقد أو العهد الإلهي المقطوع لإبراهيم ﷺ وذريته"(٥٣).

فالعنصرية قد ناد بها العهد القديم منذ العصر الإبراهيمي – حسب الترتيب التاريخي أو السياق السردي للعهد القديم – والتي تمثلت في الاصطفاء للجد والسلالة بدون سبب لهذا الاصطفاء والذي جاء في صورة ميثاق أو عقد ذي اتجاه واحد من قبل الرب.

لذلك يعتقد اليهود أنهم شعب خاص للإله، اختاره الرب وفضله على سائر أمم الأرض، وله علاقة بالإله ليس كعلاقة البشر معه، بل هي علاقة ابن بوالده، فهم ابناؤه (تعالى الله عما يقولون علوا كبيا) والذين ليس له غيرهم فهم يصرحون بأن الرب أبواهم كما قالوا له: " فَإِنَّكَ أَنْتَ أَبُونَا وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْنَا إِبْرَاهِيمُ، وَإِنْ لَمْ يَدْرِنَا إِسْرَائِيلُ. أَنْتَ يَا رَبُّ أَبُونَا، وَلِيُّنَا مُنْذُ الأَبَدِ اسْمُكَ"(٥٤). وكذلك ورد فى سفر التثنية أن الرب يصرح بذلك:" أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ.... وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"(٥٥)، "يُقَالُ لَهُمْ: أَبْنَاءُ اللهِ الْحَيِّ"(٥٦). ومن ثم فقد تربت الأجيال اليهودية في مختلف الأزمان والأمصار على هذا الاعتقاد وعلى الإحساس بأنهم هم شعب الله المختار، وأنهم هم الجنس المتفوق، وأن كل الآخرين هم دون بني إسرائيل كما تربوا أيضًا على الإحساس

٥٢ - انظر: د. إسماعيل راجي الفاروقي، أصول الصهيونية فى الدين اليهودي، مرجع سابق، صـ صـ ١٩، ٢٦، ٢٧، محمد عبد الواحد حجازي، منهج اليهود في تزييف التاريخ، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، طـ١، د. ت، صـ صـ ١٣٦، ١٤١ والترتيب مقصود.

٥٣ - د. إسماعيل راجي الفاروقي، أصول الصهيونية فى الدين اليهودي، مرجع سابق، صـ ٢٠.

٥٤ - إشعيا: ٦٣/١٦.

٥٥ - التثنية:١٤/ ١-٢.

٥٦ - هوشع: ١٠/١.

بأنهم أصل الكون، وأنهم الذين أبدعوا كل ثقافات العالم، حيث جاء فى سفر التثنية: " لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ "(٥٧).

" وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ"(٥٨)، وجاء ايضا:" وَالآنَ هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ، خَالِقُكَ يَا يَعْقُوبُ وَجَابِلُكَ يَا إِسْرَائِيلُ: «لاَ تَخَفْ لأَنِّي فَدَيْتُكَ. دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. أَنْتَ لِي. إِذَا اجْتَزْتَ فِي الْمِيَاهِ فَأَنَا مَعَكَ، وَفِي الأَنْهَارِ فَلاَ تَغْمُرُكَ. إِذَا مَشَيْتَ فِي النَّارِ فَلاَ تُلْذَعُ، وَاللَّهِيبُ لاَ يُحْرِقُكَ. لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، مُخَلِّصُكَ. جَعَلْتُ مِصْرَ فِدْيَتَكَ، كُوشَ وَسَبَا عِوَضَكَ. إِذْ صِرْتَ عَزِيزًا فِي عَيْنَيَّ مُكَرَّمًا، وَأَنَا قَدْ أَحْبَبْتُكَ. أُعْطِي أُنَاسًا عِوَضَكَ وَشُعُوبًا عِوَضَ نَفْسِكَ. لاَ تَخَفْ فَإِنِّي مَعَكَ. مِنَ الْمَشْرِقِ آتِي بِنَسْلِكَ، وَمِنَ الْمَغْرِبِ أَجْمَعُكَ. أَقُولُ لِلشَّمَالِ: أَعْطِ، وَلِلْجَنُوبِ: لاَ تَمْنَعْ. اِيتِ بِبَنِيَّ مِنْ بَعِيدٍ، وَبِبَنَاتِي مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ"(٥٩). تصور النصوص السابقة أن اختيار الرب لليهود وإخراجه لهم من العبودية ما كان ليكون لولا أنه أحبهم، وأن حبه الشديد لهم لم يكن لأحد من الشعوب الأخرى.

ويفترى أسفار العهد القديم استعلاء اليهود فوق جميع الخلق فيقول: " مُبَارِكُكَ مُبَارَكٌ، وَلاَعِنُكَ مَلْعُونٌ" (٦٠) أي أن بركتهم مستقاة من استعلائهم على جميع شعوب العالم! أي منطق هذا؟!" مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ"(٦١).

في ضوء النصوص السابقة وغيرها، يتضح أن إله اليهود نفسه يؤصّل للعنصرية، ويدعو إليها، ما دامت تحفظ لشعبه المختار مكانتهم وتميزهم عن الشعوب الأخرى .ولأن اليهود شعب (مقدس)حسب نص التوراة رأى الرب أن يلزمهم بالاحتفاظ بنقاء العنصر والعرق، بأن جعل(الهلاك) مصير كل من يخالف شرعه ويتزوج من الشعوب الأخرى غير اليهودية!، هكذا مارس اليهود الاستعلاء

٥٧ ـ التثنية: ٧/ ٦-٨
٥٨ ـ التكوين: ١٧/ ٧.
٥٩ ـ إشعيا: ٤٣/ ١-٧.
٦٠ ـ العدد: ٢٤/٩.
٦١ ـ الثنية: ٧/ ١٤.

العنصري ، تحت مظلة الدين، وزعموا أنهم شعب الله المختار، الذين اختصهم الله له دون غيرهم. وعلى هذا يمكننا القول اذن إنّ الاختيار الإلهي لبني إسرائيل في نصوص العهد القديم قد تأرجح بين رؤيتين إحداهما ترى أنَّ الاختيار تكليف بمهام العبادة والاستقامة، وأنه اختيار مشروط وليس أبديًا، وبين رؤية أخرى ترى أنَّه اختيار أبدي مهما بلغت آثام بني إسرائيل ومو باقاتهم.

الاختيار والاصطفاء في التلمود (٦٢):

إن النصوص التلمودية التي تناولت الاختيار والاصطفاء؛ فقد جعلت من الجنس اليهودي جنسا مميزاً عن الأجناس البشرية الأخرى فى التكوين والمكانة وطريقة التعامل مع غير اليهود!

حيث يُعد اليهود أنفسهم أنهم شعب الله المختار، الذي خلق من عنصر مغاير لما خلق منه باقي الأمم، فإسرائيل هم أبناء الله وأحباؤه، نالوا بركته ورضوانه، وأصبحت الدنيا بما فيها، ومن فيها ملكاً لهم، تؤكد هذه النظرة وتعززها نصوص التلمود وشروح الحاخامات.

حيث جاء في التلمود: " ولقد قال الرب القدوس لحوسيا: لقد وقع أبناؤك في الخطيئة"، وكان على (حوسيا) أن يرد على ذلك، فقال: "إنهم أبناؤك، إنهم أبناء فضيلتك، وهم أبناء إبراهيم ويعقوب اشملهم برحمتك يا رب " (٦٣).

---

٦٢ - التلمود: هو مجموعة الشروح التى وضعها حاخامات اليهود لنص المقرا (التوراة) والشرائع الدينية الواردة فيها. ويتألف التلمود من تلموديينا: ١- التلمود البابلي الذي كتب في بابل فى القرن الخامس الميلادي ويتكون من ٣٧ قسماً. ٢- والتلمود الأورشليمي الذي كتب فى طبرية ودون في القرن الرابع الميلادي ويتكون من ٣٩ قسماً. وينقسم التلمود الى قسمين: ١- المشنا: وهو شروح وتفاسير حاخامات اليهود للعهد القديم. ٢- الجمارا: وهو شرح ما جاء في المشنا كتبت بالآرامية، - للمزيد انظر: د. محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، عدد ٢٠، القاهرة، ٢٠٠١م، صـ ٢١وما بعدها، وانظر: د. رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٢م، صـ ٣٠٧-٣٠٨

٦٣ - التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١١م، م١٣، القسم الرابع (نزيقين)،صـ ٢٣.

وجاء في المشنا (٦٤): " يقول الرابي عقيبا بنو إسرائيل أحباء الله لأنهم يدعون أبناءه، بل هناك برهان أعظم على هذا الحب، وهو أن الله نفسه سماهم بهذا الاسم فى قوله فى التوراة: أنتم أولاد الرب إلهكم"(٦٥). وبناء على ذلك يتضمن التلمود نصوصا ذات أبعاد عنصرية من خلال إعطاء اليهود مكانة خاصة لا يضاهيهم بها أحد من الخلق، فهم وحدهم شعب الله المختار، الأمر الذي حمل اليهود على التفكير بالتفوق والتعالي فوق غيرهم من الناس، كما ذهب بعض الحاخامات أن اليهود وحدهم هم البشر، أما بقية الشعوب فهم بهائم وحيوانات، وهذا ينطوي على موقفين متناقضين لعلماء التلمود حيال البشر غير اليهود: الأول هو الانفتاح والاحترام لكل إنسان لكونه خلق على صورة الله، والموقف الثاني هو التعالي والاحتقار لغير اليهودي. والأساس الفكري لهذا الاتجاه يقوم على التفضيل الجوهري للشعب اليهودي على سائر الخلق، فالاختيار الإلهي لهذا الشعب له حقيقة مطلقة ومسلم بها، فاليهود أفضل من غير اليهود في طبيعتهم وتكوينهم، وفي كل شيء لأنهم شعب الله دون غيرهم، والنصوص التلمودية التي تشهد على هذا الاتجاه كثيرة (٦٦)، ويؤكد تلموديهم هذه الاتجاه فيذكر أن "خمسة من الأملاك كانت للرب المبارك، أخذها لنفسه في عالمه، وهذه الأملاك هي: القانون، والسماء والأرض وإسرائيل والمعبد..." (٦٧). أفلم يخص هذا الشعب بالقربى من الله (النّسَابة)؟

---

٦٤ - المشنا: هي مجموعة الأحكام والتعاليم والتفاسير والوصايا التشريعية التي تناقلت عبر الأجيال شفاهةً، من عهد موسى عليه السلام حتى عهد يهودا هاناسي الذي قام بتنسيقها وتسجيلها، والمشنا تتضمن شروحاً وتفاسير مفصلة للتوراة وأحكامها، كما تشتمل على أحكام وقوانين لم ترد في التوراة وإنما تم استنباطها قياساً لتوافق ظروف وأحوال اليهود طبقاً لطبيعة العصر الذي يعيشون فيه، في جملة لتراكم خبرات وتجارب حاخامات اليهود عبر مئات السنين؛ وتحتل المشنا مكانة بالغة الأثر فى التراث اليهودي وعلى كافة الاتجاهات الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية. فاليهود يعتبرونها مصدراً من مصادر التشريع يأتى في المقام الثاني بعد التوراة مباشرة، ترجمة متن التلمود (المشنا)، مرجع سابق، جـ٤، صـ ٤-٦.

٦٥ - د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ترجمة متن التلمود (المشنا)، مرجع سابق، جـ٤، صـ ١٢٣؛ المشنا، وصايا الآباء، ٣/ ١٩ د. حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، دار: القلم، دمشق، دار: العلوم، بيروت، طـ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، صـ ١١١؛هند بنت دخيل الله القثامي، أثر عقيدة اليهود فى موقفهم من الأمم الأخرى، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ - ١٤٢١هـ، صـ ١٥٣، الثنية: ١٤/ ١.

٦٦ - التلمود البابلي، مرجع سابق، م١، صـ ٥١.

٦٧ - التلمود البابلي، مرجع سابق، م ١٣، صـ ٣٤٤.

فيقول: " لبنى إسرائيل الشعب القريب اليه"(٦٨) فمن ذا الذي يفلت من سخطه إن هو رفع تجاه أولاده يدا؟"(٦٩). ورغم شرورهم فهم يزعمون أنهم أبناء الله على الحقيقة، يقول التلمود: " يُسمى الإسرائيليون (أبناء الله)، والرابى مئير لم يكن يقدم هذه الرابطة البنوية إلا بوصفها الحقيقي، ... ولقد قال النبي إرميا: بنون جاهلون، وفى سفر التثنية يشار إلينا بعبارة(هذا الجيل الشرير)، لكننا على أى وجه وحال نبقى نحن (أبنا الله)"(٧٠). وهم "يداومون على كونهم شعبا مختلفا عن سواهم إلى الأبد"، "وإنهم أصفياء الله من سالف الأيام، ولم يقع قط أن نجا من يضهدهم من العقاب"(٧١).

بل زعم التلمود أن الله اختار لهم داود معللا ذلك بقوله " إن داود ... لهم جدير برعاية قطعيي، أى شعب إسرائيل" قال الرب: أطلق شعبى"(٧٢) فنسب الرب الشعب إلى نفسه. لكن يمنح التلمود الصلاح المطلق وإن الله – ﷻ – يفاخر بهم، يقول التلمود: " لكل إسرائيل نصيب فى العالم الآتي، وقومك كلهم صالحون، وسيرثون الأرض إلى الأبد لأنهم فرع غرسي، صنع يدى للافتخار!"(٧٣)، و" لو أن بنى إسرائيل تم اجتثاثهم من الوجود فستزول الدنيا ذاتها بالكلية، لأن بفضل بنى إسرائيل والشريعة المنزلة عليهم تقوم الحياة على الأرض"(٧٤)،وإذا كان الأمر كذلك فإن من يعتدى فيؤذى يهودياً يكون قد ارتكب معصية عظيمة، وذنباً لا يغتفر،

٦٨- مزامير: ١٤/١٤٨.

٦٩ - د. أحمد ايبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، مرجع سابق، صـ صـ ٢١٢،٢١٣، وانظر: التثنية:١/١٤.

٧٠ - التلمود كتاب اليهود المقدس، مرجع سابق، صـ ٢٥٢، وانظر: عبد الوهاب عبد السلام طويلة، مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم، دار القلم، دمشق، د.ت، د.ط، صـ ٢١.

٧١ - التلمود كتاب اليهود المقدس، مرجع سابق، صـ ١٦٠،٢١١.

٧٢ - المرجع السابق، صـ ١٧٨، ١٨٥.

٧٣ - كمال عون، اليهود أعداء الإنسانية من كتابهم المقدس، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، طـ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٥م، صـ ١٠٨.

٧٤ - د. أحمد ايبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، مرجع سابق، صـ ٢١١ بتصرف يسير، وفى هذا النصوص الجلية المصاغة بطريقة توفيقية نموذج حى لعملية النسج النصي، لنسب القدسية والأفضلية لشعب ما دون سواهن ومثل هذه النصوص تحمل بجلاء لمسات المفسرين المضافة إلى التوراة.

وجزؤه القتل، جاء فى التلمود: " إن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة فإذا ضرب أمي إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية "(٧٥).

ويزعم التلمود أن قتل موسى -عليه السلام- للمصري كان لهذا السبب، يقول: " يقتل الوثني إذا ضرب إسرائيلياً، لأنه قد يكون قد يكون قد ضرب القدرة الإلهية، ولذلك قتل موسى مصرياً لأنه ضرب يهودياً"(٧٦). انظر إلى هذا التعليل الخطير؟ وكيف تكون نتائجه وأثره في ممارستهم؟، ويقول التلمود : " نحن شعب الله في الأرض، مسخر لنا الحيوان الإنساني، وهو كل الأمم والأجناس سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان: نوع أعجم كالدواب والأنعام والطير، ونوع كسائر الأمم من أهل الشرق والغرب ..إن اليهود من عنصر الله، كالوالد من عنصر أبيه ومن يصفع اليهودي كمن يصفع الله " (٧٧)، وتكريسا للعنصرية يزعم التلمود أنه " لولا اليهود لامتنعت البركة من الأرض و انقطع المطر وانحجبت الشمس، ولما أمكن باقى الشعوب أن تعيش "(٧٨)، ويؤكد سفر إشعيا هذه البركة المنحدرة إليهم جميعا بالنص التالي: " وَأَقْطَعُ لَهُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. وَيُعْرَفُ بَيْنَ الأُمَمِ نَسْلُهُمْ، وَذُرِّيَّتُهُمْ فِي وَسَطِ الشُّعُوبِ. كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنَهُمْ يَعْرِفُونَهُمْ أَنَّهُمْ نَسْلٌ بَارَكَهُ الرَّبُّ (٧٩). لذا فإن الذي يبتلى بهم يقتبس من بركاتهم، ويكون بسببهم مباركا.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن مفهوم الشعب المختار مفهوم خطير جدا يبرز نظرة عنصرية تجاه غير اليهود من خلال نصوص التلمود.

---

٧٥ - د. روهلنج، الكنز المرصود فى قواعد التلمود، ترجمة: د. يوسف نصر الله، تقديم: د. مصطفى أحمد الزرقا، د. حسن ظاظا، دار: القلم دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، صـ ٥١.

٧٦ - هند بنت دخيل الله القثامي، أثر عقيدة اليهود فى موقفهم من الأمم الأخرى، مرجع سابق، صـ ١٥٣، محمد على الزغبي، دفائن النفس اليهودية من خلال الكتب المقدسة. لبنان- بيروت، ١٩٦٨م، صـ ١٥١، د. أحمد ايبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، مرجع سابق، صـ ٣٩٥.

٧٧ - جبر الهلول، المواثيق والعهود في ممارسات اليهود: قراءة في الفكر الديني والفكر السياسي اليهودي المعاصر، مجد للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م، صـ٤٥-٤٦.

٧٨ - بولس حنا مسعد، همجية التعاليم الصهيونية، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، صـ ٦٦، محمد على الزغبي، دفائن النفس اليهودية من خلال الكتب المقدسة، مرجع سابق، صـ ١٣٦.

٧٩ - إشعيا: ٦١/ ٨-٩.

هذا وقد ترسخت فكرة الشعب المختار لدى هؤلاء عن طريق إدخالها في الصلاة اليومية حيث يقولون في كل يوم: "إنهم أبناء الله وأحباؤه "(٨٠)، وإضافة إلى إطلاق أسماء قدسية على الشعب اليهودي - كما سبق - منها الشعب المقدس والشعب الكنز (٨١)، وشعب الرَّب، والشعب الأزلي، والشعب الأبدي (٨٢)، ومن ثم فهم يرون "أن العنصر اليهودي هو الأرقى حضارة والأكثر كمالاً وخلقًا وتفوقًا عقليًا على غيره... ومن كان مثل هذا الموقع يجب أن يعطي الفرصة الكاملة لتحقيق الأهداف التي أوجد من أجلها " (٨٣). وضمن هذا السياق نجد أن أحد حاخاماتهم، الحاخام (مائير كاهانا) (٨٤) يؤكد أزلية وأبدية الشعب بقوله: " لقد اختار الرب شعب إسرائيل شعبًا مختارًا وأقسم إلا ينقرض إلى الأبد"؛ وأضاف قائلاً: " إن اليهود فعلاً شعب فريد وخاص فريد في نوعه وخاص لأنه شعب يشكل أمه ودينًا في آن واحد"(٨٥)، وأنه في ضوء التعاليم الدينية التي تأمرهم بها التوراة، والتلمود، ويشجع عليها حاخاماتهم، "حيث أسهمت الأساطير التوراتية والتلمودية التي كتبت في عصر السبي البابلي(٨٦) وما بعده، في تمسك اليهود

٨٠ - أسعد رزوق، التلمود والصهيونية، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م، صـ ٤٣.

٨١ - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، جـ ٥، صـ ٧٢.

٨٢ - الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، صـ ٢٩.

٨٣ - الأساطير المؤسسة للتاريخ الإسرائيلي القديم، مرجع سابق، صـ ٢٥٦.

٨٤ - مائير كاهانا: مؤسس حركة كاخ وعضو سابق في البرلمان الإسرائيلي (الكنيست). من عائلة حاخامية كانت تقيم في صفد وهاجرت الى الولايات المتحدة، اشتهر بالعداء الكبير للعرب. كانت خطة كاهانا وآرائه السياسية هي تهجير فلسطينيو الداخل من أراضيهم إلى دول عربية لكي تكون إسرائيل يهودية بشكل تام بدون وجود العنصر العربي في الدولة. اسمه الأصلي "مارتن ديفد" ولد في نيويورك، ودرس في معاهدها الدينية اليهودية، وعين حاخاما للجالية اليهودية فيها. انضم إلى حركات "بيتار" و"بني عكيفا"، ثم أسس "لجنة حماية اليهودية" عام ١٩٦٨ في الولايات المتحدة، التي جعلت هدفها السعي لمواجهة الدعوات اللاسامية من جهة ومساعدة اليهود من جهة أخرى في مواجهة أي هجوم يتعرضون له، انظر: غازي السعدى، من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين: مجازر وممارسات (١٩٣٦- ١٩٨٣)، دار: الجليل، عمان، ط١، ١٩٨٥م، صـ ٣٣١- ٣٣٢.

٨٥ - عبير سهام مهدي، التعصب في الفكر الصهيوني، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٢م، صـ ٦٥.

٨٦ - للمزيد عن السبي البابلي انظر: محمود عبد الله عباس إبراهيم سليمان الشال، أخلاقيات التعامل مع الأسرى فى اليهودية والإسلام " دراسة مقارنة "، رسالة ماجستير، المعهد الآسيوي، جامعة الزقازيق، ٢٠١٥م، صـ ١٠- ١٤.

بنظريات الأفضلية، والعرق المتميز المختار، وغير ذلك من الخزعبلات التي شقوا بها وأشقوا معهم البرية، طوال عصورهم، وجعلتهم منبوذين في كل مكان يتواجدون فيه، وجلبت عليهم كراهية الشعوب الأخرى، واضطهادها لهم، ومحاولتها التخلص منهم أو عزلهم في أحياء خاصة بهم مثل الجيتو(٨٧) أو حارات اليهود"(٨٨)، حيث جاء في الموسوعة العبرية عن عزلة اليهود، واعدادهم أحياءً خاصة بهم، للعيش فيها مثل(الجيتو)؛ تبريرًا لذلك، وهو شعورهم بعدم الأمان، ورغبة في المحافظة على شرائعهم الدينية، فضلاً عن شعورهم بالكراهية من قبل غيرهم؛ فجاء فيها: " إن أسباب انعزال اليهود في تجمعات خاصة بهم، عن سائر المجتمعات التي يعيشون فيها؛ هو أن واقع اليهود وطابعهم دفعهم دائمً ا إلى التجمع والإقامة سو يا في شارع واحد، أو في حي واحد، للمحافظة على الشرائع الدينية لهم، والمقابر، والمساعدة فيما بينهم للمضطهدين من أبناء جنسهم، وانعدام الأمن لهم، لكونهم غرباء، ومكروهين من قبل الشعوب التي يعيشون معهم"(٨٩).

إذا، فكرة الشعب المختار لدى اليهود ترسخت عن طريق إدخالها في الصلاة اليومية، وبعض المعتقدات الخاطئة التي يعتقدون أنهم فوق البشر، وأنهم الأفضل، والعرق المتميز المختار، وغيرها من الخُزعبلات التي اصطنعوها لأنفسهم.

---

٨٧ - الجيتو: هو اسم أطلق على كل شارع أوحى تم جمع اليهود فيه بأمر ومنعوا من الخروج منه .الاسم هو إيطالي ويعتقد أنه مأخوذ عن جيتو وهو مصنع المدافع الذى كان فى فينيسيا عام ١٩١٦، وكان عدد من هذه الأحياء محاطاً بالأسوار لتأمين الموجود فيها وحمياتهم من المهاجمين وقد انتشر الجيتو المغلق جداً فى نهاية العصور الوسطى فى إسبانيا وإيطاليا وأروبا الشرقية وبدأت هذه الأحياء المغلقة ببعد الثورة الفرنسية، انظر: أفرايم ومناحيم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة: احمد بركات العجرمي، دار الجليل، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٨م، صـ ٩٨،وانظر: د. عبد الوهاب المسيري محمد، الأيدولوجية الصهيونية، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٢،صـ ٢٥-٣٤.

٨٨ - أحمد لطفي عبد السلام، جذور العنف والعنصرية في الفكر الديني اليهودي وامتداده إلى الدولة الإسرائيلية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، صـ ١٧٤.

٨٩ - האנציקלופדיה העברית, כללית, יהודית וארצישראלית, חברה להוצאת אנציקלופדיות בע"מ, ירושלים -תשי"ד – תל – אביב. ٥٩٥- ٥٩٦.

آراء الفرق اليهودية حول الاختيار والاصطفاء:

تضم الديانة اليهودية العديد من الفرق والمذاهب التي عالجت عقيدة الاختيار والاصطفاء من زوايا مختلفة وكان لكل فرقة رأي يمثل توجهها العقائدي في هذا الشأن.

القبالاه (التصوف اليهودي) (٩٠): لعبت القبالة دوراً مهماً في تطور الفكر الديني اليهودي، وقد كانت كل هذه التوغلات الأسطورية الباطنية تدور حول شيء واحد وهو التطلع إلى ظهور المسيح اليهودي المنتظر الذي ينقذ اليهود (شعب الله المختار) من آلامه ويملكه على العالم.

والقبالة هي عقيدة يهودية ظهرت قبل الميلاد تعرف بالتصوف اليهودي، وتعنى البحث في أسرار الكون والخالق والمخلوقات عن طريق اللجوء إلى تفسيرات غيبية وتأثيرات باطنية تهدف إلى تحقيق نظرية حلول الإله في كل فرد يهودي، بحيث يمتلك إمكانية التأثير في الإله ومن ثم حلول الإله في الشعب اليهودي باعتبار أن شعب إسرائيل خاص ومميز لدى الإله، وهو الحاكم في النهاية لكل شعوب الأرض، ويعتقد أصحاب هذه العقيدة أنهم ـ الوحيدين ـ أصحاب السيادة والمعرفة في الأرض، وهم الفاهمون، والعقلاء، والعارفون الذي سيظهر المسيح المنتظر منهم، حل فيهم الإله بكل مقوماته، وهو الذي سيقود الشعب لتسيده على كل شعوب العالم (٩١).

اليهودية الإصلاحية (٩٢): كانت من أبرز الأفكار والمفاهيم الدينية المهمة التي عدّلتها اليهودية الإصلاحية، مفهوما الخلاص والاختيار في اليهودية؛ فقد رأت أن

---

٩٠ ـ القبالة: هي من كلمة آرامية تعني القبول أو التلقي، وتدل على مجموعة من المعارف الصوفية والفلسفية يدعي اليهود أنها نزلت على القديسين منذ أقدم الأزمان، وتخوض في البحث عن السر الالهي في مصير الإنسان والقوى المحركة للأفلاك ومصير الأشياء وأصولها. انظر:

- Zev ben Shimon Halevi, Kabbalah and Exodus, Shambbalal Baulder, 1980, P. 77

٩١- للمزيد انظر: د. هدى درويش، الجذور الدينية للصراع السياسي فى إسرائيل، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، صـ ١٣-١٦.

٩٢- فرقة يهودية يعود تاريخ نشأتها إلى القرن الثامن عشر الميلادي في ألمانيا، وقد دعت لإدخال إصلاح على اليهودية سواء من حيث الرؤى والأفكار والعقائد أو التشريعات والطقوس، حيث أحدثت في اليهودية ما يمكن تسميته بـ(ثورة دينية حقيقية)، لدرجة أن بعض الكتابات العلمية المعاصرة عدّتها أكبر تهديد واجه عرش اليهودية التقليدية في العصر

فكرة الخلاص: هي إلقاء للمسؤولية الإلهية على كاهل البشر أجمعين، ولم تكن حكرًا على اليهود فقط وبشكل عنصري مثلما فسرتها اليهودية التقليدية/ الحاخامية(٩٣). أما فكرة الاختيار؛ فقد أعادت اليهودية الإصلاحية تفسيرها وقامت بتخليصها من أية أفكار عنصرية ولا سيما تلك التي ارتبطت بفكرة أو مفهوم شعب الله المختار، فعدّ أبراهام جايجر (١٨١٠-١٨٧٤م)، أحد أبرز قادة اليهودية الإصلاحية، أن فكرة الاختيار ذات مفهوم أخلاقي عالمي ترتبط بفكرة السلام العالمي (٩٤).

اليهودية الأرثوذكسية (٩٥): هي امتداد واضح لعصر التلموديين وتسمى في بعض الكتيبات اليهودية التلمودية وهي أيضاً الأصولية اليهودية. ظهر التيار الارثوذكسي كتيار رئيسي في الديانة اليهودية واعتبروا أن التعديلات في اليهودية التي قام بها الإصلاحيون لتلاءم العصر مخالفة واضحة للقوانين والتقاليد اليهودية، ورأي العديد منهم أن الانفتاح على الثقافة الحديثة سيؤدي إلى اندماج

الحديث، للمزيد: انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، جـ ٥، صـ٣٧٠.

٩٣- عبد الوهاب محمد الجبوري، مقدمة في الفرق الدينية اليهودية القديمة والمعاصرة، شركة دار: الوراق، لندن، ٢٠٠٨م. صـ ٢٧.

٩٤- أسعد رزوق، المركز الأميركي اليهودي، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧٠م. صـ ٢٥.

٩٥ - فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر، وجاءت كردّ فعل للتيارات التنويرية والإصلاحية بين اليهود، وأطلق عليه الإصلاحيون اسم الأرثوذكس؛ لمعارضتهم للإصلاحيين، إلا أنَّهم تقبَّلوا ذلك الاسم؛ لأنَّ مصطلح أرثوذكس مصطلح مسيحي يعني الاعتقاد الصحيح، وهو إشارة إلى اليهود المتمسكين بالشريعة، وتُعدّ الأرثوذكسية الامتداد الحديث لليهودية الحاخامية التلمودية، وقد تزعَّم الحركة اليهودية الحاخام شمشون رفائيل هيرش، الذي درَس التلمود في مدرسة أبيه التي كانت من أشد المدارس المعارضة للإصلاحيين، وقد أعلن هرش عن مبدأ الاعتزال، الذي يقصد به انفصال اليهود الأصوليين عن المجتمعات والهيئات التي تميل إلى النزعة الإصلاحية، وقد استجاب لدعوته عدد من اليهود وتحوَّلوا تدريجيا إلى فرقة دينية قوية لها مدارسها الحديثة. والفرقة الأرثوذكسية تولّي عنايةً خاصةً للتعليم يفوق عناية الفِرَق الأخرى، وتوجد اختلافات فكرية داخل الحركة الأرثوذكسية، فهناك اتحاد للحاخامات المتعصبين يدعو إلى الحفاظ على التقاليد والطقوس اليهودية، ويسمى باتحاد الحاخامات الأرثوذكس في أمريكا وكندا، وهناك اتجاه فكري آخر للحاخامات الذين درسوا في أمريكا، الذين أسسوا مجلس أمريكا الحاخامي، وهؤلاء أقل تعصبا، انظر: د. محمد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، دار: المسيرة، عمان، الأردن، ط٣، ٢٠١٤م.، صـ ١٤٨.

اليهود بل و اعتناقهم المسيحية في نهاية المطاف(٩٦)، وسار اليهود الأرثوذوكس -الذين هم امتداد لليهودية الحاخامية الربانية في العصر الحديث على تعميق هذه المفاهيم وأكدوا محورية فكرة الاختيار، فالشعب اليهودي شعب مختار له رسالة مميزة وسمات خاصة تميزه وتفصله عن الشعوب الأخرى.

الصهيونية اليهودية (٩٧): استخدام مصطلح - "الصهيونية"- في الفكرين الديني والسياسي؛ فقد نُسبت لفظة "الصهيونية ציונות" في الفكر الديني اليهودي إلى جبل "صهيونציון "، وهو أحد الجبال الأربعة التي أقيمت عليها مدينة القدس. وهذا الاسم غير عبراني، أطلقه أصحاب الأرض (الكنعانيون) على قلعتهم الحصينة الواقعة على الرابية الجنوبية الشرقية من مدينتهم "أورشليم"؛ إلاّ أن الملك داود غيَّر هذه التسمية فأطلق على الحصن اسم "مدينة داود"، وهو ما تؤكده النصوص الواردة في سفر صموئيل الثاني(٥:٧،٩) (٩٨)، ونعتقد أن تغيير الاسم هنا، لم يكن إلاّ محاولة من قبل محرري ذلك السفر لتغيير الاسم الكنعاني، بما يتلاءم وتوجهاتهم وأهدافهم الرامية إلى تغيير جغرافية الأرض، لتتحول من أرضٍ تابعة إلى أهلها الأصليين إلى أرض تابعة لإسرائيل ومملكتها الناشئة في ذلك الوقت. أمّا في المصطلح السياسي فتعرّف الصهيونية على أنها "حركة سياسية تهدف إلى إعادة "مجد إسرائيل" المفقود بإقامة دولة يهودية في فلسطين، وهي تمزج بين السياسة والدين وتتخذ الدين ركيزة تقوم عليها في دعوتها السياسية(٩٩)؛

---

٩٦ - صلاح الزرو، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، رابطة الجامعيين، فلسطين، ١٩٩٠م، صـ ٩٠.

٩٧ - حركه قوميه عنصريه متطرفة، تستغل العاطفة في سبيل صهر جميع يهود العالم من مختلف القوميات والأجناس في وطن قومي واحد بالضغط والعنف والتهديد، واسكانهم في فلسطين بعد طرد سكانها بالقوة؛ والفكرة الصهيونية تنطوي في جوهرها على دعوة العودة الى صهيون أي مناشدة اليهود في العالم، والعودة إلي (ارض إسرائيل) بحدودها المذكورة في الكتب المقدسة لدي اليهود؛ والصهيونية بمفهومها السياسي وطابعها القومي اليهودي عبارة عن حركه سياسيه عالميه منظمه تستند إلى مفاهيم شتى انطلاقا من المفاهيم الدينية إلى المزاعم التاريخية والنيات الاستعمارية، انظر: أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، الكويت، ١٩٨٤م، صـ ١٦- ١٧.

٩٨ - عبد السميع الهراوي، الصهيونية بين الدين والسياسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، صـ١٥٠.

٩٩ - عابد توفيق الهاشمي، عقيدة اليهود في تملك فلسطين وتفنيدها قرآناً وتوراة وإنجيلاً وتاريخاً، مكتبة أم القرى، القاهرة، ١٩٩٠م، صـ٣٠.

فالصهيونية، كما يقول روجيه غارودي: لا تعرف التماسك والترابط إلاّ من خلال الرجوع إلى الديانة اليهودية، وأن حذف بعض المفاهيم مثل: "الشعب المختار" و "الأرض الموعودة" سيؤدي إلى انهيار أساس الصهيونية(١٠٠)؛ لذلك ركزت الأيديولوجية الصهيونية على الربط بين" الأفكار والنظريات العرقية " للشعب اليهودي وبين" مقولة الرغبة الإلهية"، وتتضمن هذه الفكرة أن الشعب اليهودي قد اختير من قبل الله، ليكون الشعب المختار، أو ثمة اختيار إلهي للشعب اليهودي، وقد حاولت الفلسفة اليهودية، الربط بين هذه المقولة وبين رسالة الشعب المختار (١٠١). ومن خلال ما سبق إن عقيدة التفضيل والاختيار في الفكر الديني اليهودي لها أدلتها الكثيرة في العهد القديم والتلمود، وقد أوردنا بعضًا منها لندلل على أهمية هذه العقيدة في حياة اليهود قديما وحديثاً ولنقل:

إن عقيدة الاختيار عقيدة دينية، لها أدلتها النصية، ولها مرتكز في قاعدة الإيمان اليهودي، ولها انعكاس في سلوكها تجاه أنفسهم وتجاه الغير. وطالما أن الاختيار عقيدة فلا يمكن أن يتنازل اليهود عنها حتى يتنازلوا عن يهوديتهم.

وبعد ما بينا عقيدة التفضيل والاختيار سأقوم بالرد على التفضيل والاختيار عند اليهود في المبحث الثاني، مع ذكر الأدلة من نصوصهم الدينية.

١٠٠ - روجيه غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة: قصي أتاسي؛ ميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ١٩٩١م، صـ ١٥٣ – ١٥٤.

١٠١ - د. ميشيل شيحة، جذور الفكر الصهيوني وسياسة التمييز العنصري في إسرائيل "، مجلة: جامعة دمشق، المجلد ١٩، العدد الثاني، ٢٠٠٣م، صـ٣٩٤.

المبحث الثاني
الرد على التفضيل والاختيار عند اليهود

إن النصوص التي منحتهم هذا الاختيار هي نفسها التي جعلت لهذا الاختيار شروطا كما سأوضحها على النحو التالي:

اولاً: شروط التفضيل والاختيار حسب نصوصهم التي يقدسونها:

على رغم "ورود الاصطفاء صراحة، إلا أن مسألة اصطفاء بنى إسرائيل واختيارهم الإلهي وتفضيلهم على العالمين تحتاج إلى تدقيق وبيان إذ لا بُدّ من الإشارة إلى أن ذلك كان مقيدا أو مشروطا فهو لا يتحقق إلا بتحقق شرطه وهو الإيمان بالله وطاعته وحفظ عهده ورعاية ميثاقه فإن فعلوا ذلك كانوا شعبا مختارا وإلا فليس ثمة اصطفاء لهم أو تفضيل"(١٠٢)؛ فلقد أناط العهد القديم الاختيار بالاستقامة وتحقيق التوحيد والتزام الشريعة، ولكن بنى إسرائيل لم ليلتزموا بذلك، بل أعرضوا عن ربهم بنص كتابهم كما سأبين.

يقول أحد الحاخامات: " يلجأ أصحاب التيار القومي للتوراة لتبرير سياسة العنف، والحق المطلق والمباشر بأرض الميعاد، والازدراء بكل الشعوب ما عدا الشعب المختار، هذا الكلام يحمل تناقضا واضحا. فاختيار إسرائيل والعهد بين الإله واليهود، لا يعنى مطلقا أن اليهود وحدهم لهم حقوق. فسفر التكوين يتكلم عن خلق الإنسان، لا عن خلق إبراهيم وسلالته. فالرب لم يخلق اليهود وإنما خلق الإنسان"(١٠٣)، وإن فكرة الاختيار ما هي إلا نتيجة طبيعية لفكرة الوعد بالأرض؛ إذ الإله اختار بنى إسرائيل دون غيرهم لإقامة عهده معهم بمنحهم أرض كنعان ملكا أبديا لتكون عاصمتهم العالمية، وأصبح الاختيار في الفكر اليهودي أزليا غير قابل للنقد التزم اليهود بالوصايا أو لم يلتزموا فلا علاقة عندهم بين الأخلاق والاختيار (١٠٤). وهذا من تحريف أحبارهم للتوراة على مدى العصور والأيام.

---

١٠٢ - د. محمد عبد الله الشرقاوي، بحث فى مقارنة الأديان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٢٠٠٠م، صـ صـ ٣١٥-٣١٦.

١٠٣ - جان فرنسيس هلد، رحلة فى قلب إسرائيل (الشرخ)، ترجمة: حسان يوسف. دار المروج، بيروت، ١٩٨٦م، صـ ٢٠٨، والخام المشار اليه اسمه: الفى.

١٠٤ - د. إسماعيل راجى الفاروقي، أصول الصهيونية فى الدين اليهودي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، صـ ١٧.

لكنّ التفضيل والاختيار المزعوم له شروط حسب ما يقدسونه من النصوص، على الرغم من كل هذا التزييف والتحريف والتزوير الذى أدخله حاخامات اليهود على ما جاءهم من وحى فلا يزال في النصوص التي بين أيديهم ما يشهد أن الاصطفاء والاختيار والتفضيل منوط بالاستقامة والعمل بالوصايا وإقامة الناموس، وإلا حلت بهم اللعنة(١٠٥)، وهذه بعض النصوص التي تثبت أن هناك شروط للتفضيل، وأنهم لم يحققوها يكون تعلقهم بنصوص التفضيل تعلقا لا يصح: يقول العهد القديم: " فَاحْفَظِ الْوَصَايَا وَالْفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ الْيَوْمَ لِتَعْمَلَهَا. وَمِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ تَسْمَعُونَ هذِهِ الأَحْكَامَ وَتَحْفَظُونَ وَتَعْمَلُونَهَا، يَحْفَظُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ الْعَهْدَ وَالإِحْسَانَ اللَّذَيْنِ أَقْسَمَ لآبَائِكَ، وَيُحِبُّكَ وَيُبَارِكُكَ وَيُكَثِّرُكَ ..... مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ...."(١٠٦).

وعن معنى الوصايا والفرائض: " قد قال كثير من العلماء: مضمون هذه العشر الكلمات فى آيتين من القرآن الكريم وهما قوله ﷻ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١-١٥٢)، (١٠٧).

" هذَا الْيَوْمَ قَدْ أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ أَنْ تَعْمَلَ بِهذِهِ الْفَرَائِضِ وَالأَحْكَامِ، فَاحْفَظْ وَاعْمَلْ بِهَا مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ. قَدْ وَاعَدْتَ الرَّبَّ الْيَوْمَ أَنْ يَكُونَ لَكَ إِلهًا، وَأَنْ تَسْلُكَ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظَ فَرَائِضَهُ وَوَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَتَسْمَعَ لِصَوْتِهِ. وَوَاعَدَكَ الرَّبُّ الْيَوْمَ أَنْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا، كَمَا قَالَ لَكَ، وَتَحْفَظَ جَمِيعَ وَصَايَاهُ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُسْتَعْلِيًا عَلَى جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الثَّنَاءِ وَالاسْمِ وَالْبَهَاءِ، وَأَنْ تَكُونَ شَعْبًا مُقَدَّسًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ، كَمَا قَالَ"(١٠٨).

---

١٠٥ - التثنية: ٢٧-٢٦ يقول النص: "مَلْعُونٌ مَنْ لاَ يُقِيمُ كَلِمَاتِ هذَا النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهَا".

١٠٦ - التثنية: ٧/ ١١-١٦.

١٠٧ - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق د. أحمد أبو ملحم، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، جـ١، صـ ٢٦٣.

١٠٨ - التثنية: ٢٦/ ١٦-١٩.

فحفظ الوصايا شرط في: أن يكون الإسرائيلي مستعليا على جميع القبائل الأرض: " وَإِنْ سَمِعْتَ سَمْعًا لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَحْرِصَ أَنْ تَعْمَلَ بِجَمِيعِ وَصَايَاهُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، يَجْعَلُكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مُسْتَعْلِيًا عَلَى جَمِيعِ قَبَائِلِ الأَرْضِ، وَتَأْتِي عَلَيْكَ جَمِيعُ هذِهِ الْبَرَكَاتِ وَتُدْرِكُكَ، إِذَا سَمِعْتَ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ"(١٠٩).

- و" يَجْعَلُ الرَّبُّ أَعْدَاءَكَ الْقَائِمِينَ عَلَيْكَ مُنْهَزِمِينَ أَمَامَكَ. فِي طَرِيق وَاحِدَةٍ يَخْرُجُونَ عَلَيْكَ، وَفِي سَبْعِ طُرُق يَهْرُبُونَ أَمَامَكَ"(١١٠).
- يبارك الرب في الأرض التي يعطيه ويقيمه شعبا مقدسا لنفسه وتخافه جميع شعوب الأرض: " وَيُبَارِكُكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. يُقِيمُكَ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ شَعْبًا **مُقَدَّسًا** كَمَا حَلَفَ لَكَ، إِذَا حَفِظْتَ وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكَ وَسَلَكْتَ فِي طُرُقِهِ. فَيَرَى جَمِيعُ شُعُوبِ الأَرْضِ أَنَّ اسْمَ الرَّبِّ قَدْ سُمِّيَ عَلَيْكَ وَيَخَافُونَ مِنْكَ. وَيَزِيدُكَ الرَّبُّ خَيْرًا فِي ثَمَرَةِ بَطْنِكَ وَثَمَرَةِ بَهَائِمِكَ وَثَمَرَةِ أَرْضِكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لآبَائِكَ أَنْ يُعْطِيَكَ"(١١١). ولكلمة " مُقَدَّسًا " معاني عدة، منها: ١- مقدس، منزه، معصوم. ٢- "نقي، طاهر، مطهر تماماً، مقدساً"(١١٢).٣- من الأسماء الحسنى في التوراة (١١٣). ٤- "مخصص لخدمة الرب ..وتُشير كلمة" مقدس" إلى تكريس القلب وكل كيان الإنسان لله، فيصير خاصًا به، معتزلًا كل شر. ويرى البعض أن الكلمة تعني نقاوة الإنسان – بالكلية - من كل ما هو أرضي، حيث ينسحب كيان الإنسان إلى الحياة السماوية المقدسة، ليعيش مع القدوس. يجب أن تصبح هاتان الصفتان ملازمتين للشعب، ولكل مؤمن تمتع بالدعوة الإلهية. إن كان الرب قد كرّمهم واختارهم دون غيرهم، فكيف يهينونه باختيارهم للأوثان عوضًا عنه؟ !أراد الله أن يرفعهم إلى خاصته فوق كل الشعوب، فهل يريدون النزول بمستواهم إلى الانضمام إلى الشعوب الوثنية؟ لقد أراد

---

١٠٩ - التثنية: ٢٨/ ١-٢.
١١٠ - الثنية: ٢٨/ ٧.
١١١ - التثنية: ٢٨/ ٨-١١.
١١٢ - אבן שושן ,אברהם :המלון החדש ,בשבעה כרכים ,הוצאת קרית - ספר, ירושלים , ١٩٨٣ ,ע ' קדוש.
١١٣ - דוד שגיב, ע' קדוש.

لهم أن يكونوا خاصته، ألا يريدون أن يكون هو خاص بهم، لا يقبلون آخر غيره؟! بقوله:" لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"، يعني :أنه صار ملكية خاصة لله، ليس من حقه التصرف بذاته بل حسب إرادة من اقتناه (١١٤).

- أن تمحى الأمم الأخرى ولا يُمحى: " فَتُقْرِضُ أُمَمًا كَثِيرَةً وَأَنْتَ لاَ تَقْتَرِضُ"(١١٥).

أن يكون إسرائيل رأسا لا ذنبا في ارتفاع لا في انحطاط: " وَيَجْعَلُكَ الرَّبُّ رَأْسًا لاَ ذَنَبًا، وَتَكُونُ فِي الارْتِفَاعِ فَقَطْ وَلاَ تَكُونُ فِي الانْحِطَاطِ، إِذَا سَمِعْتَ لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، لِتَحْفَظَ وَتَعْمَلَ"(١١٦). جماع القول: " فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ"(١١٧) وهذا النص شرط في الاصطفاء وتحقيق الاختيار. وإن لم يحققوا الشروط يتحقق فيهم:" إِيَّاكُمْ فَقَطْ عَرَفْتُ مِنْ جَمِيعِ قَبَائِلِ الأَرْضِ، لِذلِكَ أُعَاقِبُكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذُنُوبِكُمْ"(١١٨). ويقول: " أُنْظُرْ. أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ الْيَوْمَ بَرَكَةً وَلَعْنَةً: الْبَرَكَةُ إِذَا سَمِعْتُمْ لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ. وَاللَّعْنَةُ إِذَا لَمْ تَسْمَعُوا لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمْ، وَزُغْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِتَذْهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا"(١١٩).

---

١١٤ - אלעזר חיים ב"ר דוד אריה הכהן קליין: ערך שוע. ליקוטים וציונים. הערות וביאורים דברי התבוננות ועומק על תפילת שמונה עשרה. יוצא לאור בהודאה להשי"ת תש"פ - ירושלים עמ - ' קי.

وللمزيد، ينظر :تفسير الكتاب المقدس العهد القديم الموقع التالي:

- https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/05-Sefr-El-Tathneya/Tafseer-Sefr-El-Tathnia__01-Chapter-07.html#1

١١٥ ـ التثنية: ٢٨/ ١٢.
١١٦ ـ التثنية: ٢٨/ ١٣.
١١٧ ـ الخروج: ١٩/ ٥-٦.
١١٨ ـ عاموس: ٣/ ٢.
١١٩ ـ التثنية: ١١/ ٢٦-٢٨.

إن اللعنة تتنافى تماما مع الاختيار والتفضيل إذ لا يمكن أن يكون المصطفى المختار ملعونا، والعقاب الطبيعي هنا هو سلب هذا التفضيل والاصطفاء المزعوم.

هذه هي النصوص السابقة أو اللاحقة مباشرة لنصوص التفضيل، تدل على أن التفضيل هو بسبب الامتثال لما شرع الله ﷻ ولأوامره لا لشيء آخر؛ إذ الخلق كلهم خلق الله.

ثانياً: اليهود وشروط الاختيار:

هذه بعض شروط التفضيل والاختيار، فهل التزم بنو إسرائيل هذه الشروط التي فضلوا لما قاموا عليها وظلت متوافرة فيهم؟ أم أنهم التزموها فترة وتركوها ما بقوا ولم يفوا بالشروط فاستحق اللعن الذي يتناف مع الاختيار؟ الجواب على ذلك: أن تفضيلهم ثبت بالنصوص؛ لذا أترك الجواب أيضا للنصوص من كتابهم الذي يقدسونه لتحسم الجواب فأقول:

يقول العهد القديم: "هذَا الشَّعْبُ الشِّرِّيرُ الَّذِي يَأْبَى أَنْ يَسْمَعَ كَلاَمِي، الَّذِي يَسْلُكُ فِي عِنَادِ قَلْبِهِ وَيَسِيرُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لِيَعْبُدَهَا وَيَسْجُدَ لَهَا، يَصِيرُ كَهذِهِ الْمِنْطَقَةِ الَّتِي لاَ تَصْلَحُ لِشَيْءٍ. لأَنَّهُ كَمَا تَلْتَصِقُ الْمِنْطَقَةُ بِحَقْوَيِ الإِنْسَانِ، هكَذَا أَلْصَقْتُ بِنَفْسِي كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَكُلَّ بَيْتِ يَهُوذَا، يَقُولُ الرَّبُّ، لِيَكُونُوا لِي شَعْبًا وَاسْمًا وَفَخْرًا وَمَجْدًا، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا"(١٢٠).

و" حِدْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ وَأَعْثَرْتُمْ كَثِيرِينَ بِالشَّرِيعَةِ. أَفْسَدْتُمْ عَهْدَ لاَوِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. فَأَنَا أَيْضًا صَيَّرْتُكُمْ مُحْتَقَرِينَ وَدَنِيئِينَ عِنْدَ كُلِّ الشَّعْبِ، كَمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَحْفَظُوا طُرُقِي بَلْ حَابَيْتُمْ فِي الشَّرِيعَةِ"(١٢١). هكذا جاء الجواب في هذا النصوص حاسما فلم يقم اليهود بالشروط حتى يستحقوا هذا الاصطفاء والاختيار.

لكن إذا نظرنا إلى واقع بني إسرائيل في نصوص كتابهم لوجدنا أنهم لم يلتزموا بما أمرهم الله – تعالى – به، بل نقضوا ما عهدوا الله عليه، وأول ما نقضوا الوصايا العشر التي تضمنها الكتاب المقدس موصية إياهم: " لاَ تَقْتُل. لاَ تَزْنِ. لاَ

١٢٠ - إرميا: ١٣/ ١٠-١١.

١٢١ - ملاخى: ٢/ ٨-٩، كيف يكون المفضل المصطفى محتقرا ودنيئا؟!!

تَسْرِقْ لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ. لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ"(١٢٢).

ثالثاً: نصوص تلعنهم وتنفى عنهم صفة الاختيار:

جاءت نصوص العهد القديم تحمل شهادة الرب عليهم باستحقاقهم اللعن فتقول:" اِسْمَعِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ، لأَنَّ الرَّبَّ يَتَكَلَّمُ. رَبَّيْتُ بَنِينَ وَنَشَّأْتُهُمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ. اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ. وَيْلٌ لِلأُمَّةِ الْخَاطِئَةِ، الشَّعْبِ الثَّقِيلِ الإِثْمِ، نَسْلِ فَاعِلِي الشَّرِّ، أَوْلاَدِ مُفْسِدِينَ! تَرَكُوا الرَّبَّ، اسْتَهَانُوا بِقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ، ارْتَدُّوا إِلَى وَرَاءٍ"(١٢٣). هذه بعض النصوص من كتابهم الذي يقدسونه تلعنهم وتنفى عنهم صفة الاختيار، ولكن اليهود يؤولنها لصالحهم دائما ويقولون: إنها دعوة لهم للعودة والاستقامة على أمر الشريعة. فالاختيار مشروط في التوراة، كما بينت النصوص السابقة، وفى رواية أخرى مفصلة للشروط نجد ما يلي:

"لاَ تَصْنَعُوا لَكُمْ أَوْثَاناً، وَلاَ تُقِيمُوا لَكُمْ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا أَوْ نَصَبًا، وَلاَ تَجْعَلُوا فِي أَرْضِكُمْ حَجَرًا مُصَوَّرًا لِتَسْجُدُوا لَهُ. لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ. سُبُوتِي تَحْفَظُونَ وَمَقْدِسِي تَهَابُونَ. أَنَا الرَّبُّ. إِذَا سَلَكْتُمْ فِي فَرَائِضِي وَحَفِظْتُمْ وَصَايَايَ وَعَمِلْتُمْ بِهَا، أُعْطِي مَطَرَكُمْ فِي حِينِهِ، وَتُعْطِي الأَرْضُ غَلَّتَهَا، وَتُعْطِي أَشْجَارُ الْحَقْلِ أَثْمَارَهَا، وَيَلْحَقُ دِرَاسُكُمْ بِالْقِطَافِ، وَيَلْحَقُ الْقِطَافُ بِالزَّرْعِ، فَتَأْكُلُونَ خُبْزَكُمْ لِلشِّبَعِ وَتَسْكُنُونَ فِي أَرْضِكُمْ آمِنِينَ. وَأَجْعَلُ سَلاَمًا فِي الأَرْضِ، فَتَنَامُونَ وَلَيْسَ مَنْ يُزْعِجُكُمْ. وَأُبِيدُ الْوُحُوشَ الرَّدِيئَةَ مِنَ الأَرْضِ، وَلاَ يَعْبُرُ سَيْفٌ فِي أَرْضِكُمْ. وَتَطْرُدُونَ أَعْدَاءَكُمْ فَيَسْقُطُونَ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ. يَطْرُدُ خَمْسَةٌ مِنْكُمْ مِئَةً، وَمِئَةٌ مِنْكُمْ يَطْرُدُونَ رَبْوَةً، وَيَسْقُطُ أَعْدَاؤُكُمْ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ. وَأَلْتَفِتُ إِلَيْكُمْ وَأُثْمِرُكُمْ وَأُكَثِّرُكُمْ وَأُقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ"(١٢٤). فإذا لم يقم بنو إسرائيل بالوصايا والفرائض فلا عهد لهم عند الرب ولا اختيار وبقية الإصحاح السادس والعشرين من سفر اللاويين تؤكد ذلك. وفي سفر التثنية يتم التأكيد على شروط العهد والاختيار فإذا قام الشعب بأركان العهد أوفى الرب بما عليهم تجاههم، والإصحاح السادس كله يؤكد على المطلوب تنفيذه من بنى إسرائيل

١٢٢ - الخروج: ٢٠/ ١٣-١٧، التثنية: ٥/ ١٧- ٢١.
١٢٣ - إشعياء: ١/ ٢-٣.
١٢٤ - اللاويين: ٢٦/ ١-٩.

(١٢٥). وتفيدنا أسفار العهد القديم أن بنى إسرائيل قد صنعوا التماثيل وعبدوها وأنهم لم يحفظو السبوت، ولم يحفظوا وصاياه ولم يعملوا بها.

وربما قيل إن " القرآن الكريم قد أقر بتفضيل بني إسرائيل على العالمين، لقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٤٧). والجواب: إن التفضيل مؤقت ومشروط؛ لأنهم يومذاك كانوا موحدين في عالم وثني، وكل من دخل في التوحيد شمله التفضيل، ومشروط بالوفاء بالعهد، لقوله تعالي: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة: ٤٠)، فلما توقف الوفاء بالعهد زالت النعمة"(١٢٦). فعدم وفاء بني إسرائيل، وعصيانهم، ونقضهم العهد مراراً، وعدم مقابلة نعم الله عليهم بالشكر والعرفان، بل بالجحود والبطر والطغيان والكفران؛ فكان نتيجة ذلك كله أن سلب الله منهم هذه النعم وهذا التفضيل، وأزاله عنهم، وتنبأ بتشردهم، فتقول التوراة: "اِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَنْسَوْا عَهْدَ الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَكُمْ، وَتَصْنَعُوا لأَنْفُسِكُمْ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، صُورَةَ كُلِّ مَا نَهَاكَ عَنْهُ الرَّبُّ إِلهُكَ. لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ نَارٌ آكِلَةٌ، إِلهٌ غَيُورٌ. إِذَا وَلَدْتُمْ أَوْلاَدًا وَأَوْلاَدَ أَوْلادٍ، وَأَطَلْتُمُ الزَّمَانَ فِي الأَرْضِ، وَفَسَدْتُمْ وَصَنَعْتُمْ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا صُورَةَ شَيْءٍ مَّا، وَفَعَلْتُمُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ لإِغَاظَتِهِ"(١٢٧). ومن ثم فإن هذه النصوص وغيرها تصبح حجة عليهم في غضب الله عليهم بسبب ما فعلوه من الذنوب والمعاصي، وأنهم لم يكونوا في يوم من الأيام شعبه المختار بسبب ما اقترفوه.

ومن خلال ما سبق يتبين بان عقيدة التفضيل والاختيار أو ما يقوله اليهود عن أنفسهم (أنهم شعب الله المختار)، ترتكز على أسس دينية يقدسونها ويؤمنون بها. لكن إذا نظرنا الى ما سبق ذكره من نصوص سوف يتضح ما يلي:

١- إن عقيدة الاختيار والتفضيل علاقة تعاهد بدأت بين الرب وإبراهيم عليه السلام، على ان تستمر فى نسله جيلاً بعد جيل. (باستثناء نسله من ابنه إسماعيل عليه السلام)، حيث يقول العهد القديم "وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلهِ: لَيْتَ

١٢٥ - التثنية: ٦.

١٢٦ - إسحاق موسى الحسيني، العنصرية أساس قيام إسرائيل، مجلة البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، العدد ٣، مارس ١٩٧٢ م، صـ ٣.

١٢٧ - التثنية: ٤/ ٢٣-٢٥.

إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ. فَقَالَ اللهُ: بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. وَلكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَةِ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ صَعِدَ اللهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ "(١٢٨).

٢- هذه العلاقة التعاقدية تجعل من بنى إسرائيل " شعب الله المختار "من بين شعوب الأرض، وتجعل من الإله، إلها خاصاً بهم، ويعمل فى خدمتهم لا لشيء امتازوا به عن الآخرين، بل لمحبته لهم والتزاماً ليمين حلفها لآبائهم!

٣- كما نلاحظ أن هذه العلاقة القائمة على التعاهد مشروطة من قبل إلههم. فإذا لم يقم بنو إسرائيل بالوصايا والفرائض فلا عهد لهم عند الله ولا اختيار.

٤- لم يلتزم اليهود بشروط التعاهد للاختيار ومع ذلك بقي (الاختيار) قائما. مما يوحى بأن تنفيذ الشروط غير ملزمة من جانبهم، وهي ملزمة من قبل إلههم لأنه حلف يميناً لآبائهم، ولا يستطع إلا أن يحافظ عليه، بالإضافة إلى أنه هو الذي اختارهم وهم لم يختاروه.

ومما يجدر ذكر تعرّض مفهوم الاختيار في نصوص أسفار العهد القديم للانتقاد من مفكري اليهود أنفسهم وعلى رأسهم الفيلسوف اليهودي اسبينوزا (١٢٩) الذي اعتبر أن مفهوم الاختيار التوراتي هو مفهوم مادي دنيوي بحت ويبتعد تماما عن الأبعاد الروحية والأخلاقية الَّتي هي سمة أساسية لأي رسالة موحى بها من الله، فاسبينوزا كان يرى أنَّ مفهوم قداسة النص باعتباره الموحي به يرتبط بالبعد الأخلاقي ولذا فهو يقول: "لا يكون الكتاب مقدّسا، ولا تكون نصوصه إلهية، إلا بقدر ما يحثُّ النَّاس على تقوى الله. فإن تخلوا كليةً عن هذه التقوى، كما تخلّى عنها

١٢٨ - التكوين: ١٧/ ١٨-٢٢.

١٢٩ - اسبينوزا هو: أحد الفلاسفة المعاصرين وكانت له نظريات نقدية فى الدين اليهودي هيجت عليه اليهود ويعتبر من رواد نقد العهد القديم ورفض الإيمان بالمعجزات لأنه يتنافى مع قانون الطبيعة، انظر: موسوعة اليهود واليهودية، مرجع سابق، م٣، صـ صـ ٣٨٠-٣٨١.

اليهود من قبل، أصبح حبراً على ورق، وضاعت قدسيته كليةً، وأصبح معرضاً للتحريف، فليس هناك ما يدعو للدهشة إذا كانت الأصلية قد ضاعت بعد أن ضاع مخطوطات موسى تماما الأثر الأصلي بحق الميثاق الإلهي، وهو أقدس الآثار جميعًا"(١٣٠). ويشير اسبينوزا إلى أنَّ ما نفهمه عن مفهوم اختيار الإله لبني إسرائيل في التوراة هو:" الإطار الدنيوي المادي، فقد تم اختيارهم وأعطوا رسالة من أجل الازدهار الدنيوي لدولتهم ومن أجل مزاياهم المادية. كذلك فإنَّنا نعتقد أنَّ الله لم يعد البطارقة (١٣١) أو نسلهم بأي شيء ما عدا ذلك، بل إنَّ الشَّريعة لم تعد العبرانيين بشيء مقابل طاعتهم إلا باستمرار دولتهم الذي يسعدون بها وبنعم الدُّنيا، وفي مقابل ذلك فإنها أنذرتهم بسقوط الدولة وبأفدح المصائب لو أنهم عصوا الميثاق ونقضوه" (١٣٢). ويقول: إن الإله مرتبط بجميع شعوب الإنسانية، وأن شعب الله المختار هو هذه الشعوب جميعا حين تنبذ خلافاتها وأحقادها وتتوحد شعبا إنسانيا واحدا (١٣٣). "ويستشهد اسبينوزا بشواهد عديدة من داخل التَّوراة نفسها تؤكد على أنَّ الله أختار شعوب أخرى كثيرة غير بني إسرائيل لعبادته واختصها أيضًا بنمو دولتها وازدهارها وهو الأمر الَّذي تنتفي معه نزعة الخصوصية التي حرف بها كتاب التوراة مفهوم الاختيار فإن الله يرعى الجميع بقدر متساوٍ، وهذا ما يؤكده

---

١٣٠ - اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسِّياسة، ترجمة وتقديم: د. حسن حنفي، دار: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥ م، صـ ٣٣٠-٣٣١.

١٣١ - تعني كلمة "البطارقة " Patriarches أباء باللغة اليونانية وهم أباء اليهود إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وتشمل الكلمة أحيانا موسى وهارون وآدم ونوح، وهو الذين تلقوا الوعود الإلهية بأن تكون أرض فلسطين (كنعان) من نصيبهم. كما أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإن لم يكونوا أنبياء في التراث اليهودي فهم رؤساء وشيوخ قبائلهم يرتبوطون معهم برابطة الدم والنسب والعرق، وتبدأ فترة الآباء مع إبراهيم العبري. إن التقليد أو التراث اليهودي معتاد أحيانا على إرجاع عصر الآباء إلى آدم ونوح إلا أن الاتفاق يرتكز حول كل من النبي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وإن لم يعتبرهم الفكر الديني اليهودي أنبياء فإنه يعتبرهم أولئك الذين تلقوا الوعد الإلهي سواء بتكثير النسل أو بالاستيطان أو الحصول على أرض كنعان" د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموجزة في جزئين، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٦م، م٢، صـ ٣٩٩. ويبدو أن اعتبار إبراهيم محذوفا من قائمة الأنبياء أمر فيه نظر، خاصة أن نبوة إبراهيم أمر صريح في كل من الكتاب المقدس (سفر التكوين ٢٠: ٧). والتراث اليهودي (التلمود)، مصطفى. الإضافة النوعية القرآنية: مراجعة نقدية في سفر التكوين، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠١١م، صـ ٨٦

١٣٢ - اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسِّياسة، مرجع سابق، صـ ١٧٠.

١٣٣ - انظر: د. أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، عدد فبراير ١٩٨٤م، صـ ٥٨.

الكتاب ذاته فنجد في سفر المزامير؛ (مزمور: ٣٣/ ١٤- ١٥): " مِنْ مَكَانِ سُكْنَاهُ تَطَلَّعَ إِلَى جَمِيعِ سُكَانِ الأَرْضِ. الْمُصَوِّرُ قُلُوبَهُمْ جَمِيعًا، الْمُنْتَبِهُ إِلَى كُلِّ أَعْمَالِهِمْ". يقول اسبينوزا: "إنَّ الله قد فرض للجميع هذا القانون الذي يقضي بتعظيم الله، وبالكفّ عن الأفعال القبيحة؛ أي يقضي بالتوجه له بالفعل الصالح، ومن هنا أصبح أيوب وهو غير اليهودي، أحب الجميع إلى الله؛ لأنه فاقهم جميعًا في الورع والتدين". ويتبين أخيرًا من (سفر يونس ٤: ٢) "أنَّ الله يرعى الجميع ويرحمهم ويسامحهم، وأنَّ رحمته تسعهم يرعى الجميع ويرحمهم ويسامحهم، وأن رحمته تسعهم جميعًا، وأنه يغفر الخطايا للجميع، دون أن يقصر ذلك على اليهود وحدهم؛ " فالأنبياء لجميع البشر وليس " لليهود وحدهم، ولما كان الله لطيفًا رحيما حقًّا بالجميع وكانت مهمة النبي أقرب إلى تعليم الفضيلة الحقة وتهذيب البشر منها إلى تعليم القوانين الخاصة بالوطن، فلا شكّ أنَّ جميع الأمم كانت لها أنبياء، وأنَّ هبة النبوة لم تكن قاصرة على العبرانيين"(١٣٤). وهذا ما يشهد به التاريخ الديني والتاريخ الدنيوي على السواء. وإذا لم تكن الروايات المقدّسة في أسفار العهد القديم تدلُّ على إرسال الأنبياء إلى سائر الأمم كما أرسلوا إلى العبرانيين، أو على أنَّ الله لم يرسل إليها صراحة أي نبي غير يهودي، فهذا لا يهم في شيء لأن اليهود لم يهتموا إلا برواية شئونهم الخاصة، لا برواية شئون غيرهم من الأمم. وقد ذكر أيضًا: أن شعب إسرائيل – حاليا – لم يعد مختارًا، بل إن الله (قبل بعثة موسى -عليه السلام-) "كان يكشف نفسه بالمعجزات لباقي الشعوب أكثر مما فعله لليهود الذين استعادوا جزءا من امبراطوريتهم في ذلك الوقت دون معجزات". كما دلت نصوص التوراة "على أن لباقي الأمم طقوسا وشعائر يتقربون بها إلى الله" وهكذا استنتج (سبينوزا) أن النبوة لم تكن وقفا على اليهود وحدهم، بل" مشتركة بين جميع الأمم ... على أن الله لم يختر العبرانيين إلى الأبد، بل اختارهم في نفس الظروف التي اختار فيها الكنعانيين من قبل ... وكان الكنعانيون بدورهم أحبارا يخدمون الله بوازع ديني، ولكن الله تخلى عنهم بسبب حبهم للشهوات، ولرخاوتهم، ولعبادتهم الباطلة"(١٣٥). لذلك يقول أحد علماء اللاهوت: " إن فكرت الشعب المختار تعتبر تاريخيا مسألة طفولية، وسياسيا إجرامية، وفكريا غير مقبولة. لأن بعض مختارون والباقي

١٣٤ - اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسِّياسة، مرجع سابق صـ ١٧٢-١٧٣.
١٣٥ - المرجع سابق صـ ١٧٢-١٨٠.

مستبعدون، وأي سياسة تزعم أنها تقوم على هذه الأسطورة، تؤدى حتما إلى إلغاء ورفض الآخر، ويقول إن الدولة الإسرائيلية ليس لها أي حق، في أن تزعم أنها الإنجاز النهائي للرسالة الدينية"(١٣٦).

الخاتمة

لعل أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يلي:

١- تستند عقيدة الاختيار والتفضيل إلى مصدرين أساسيين، يستقي منهما اليهود كل المبادئ
والتعاليم الدينية، هما :العهد القديم، والتلمود.

٢- الاختيار والاصطفاء عقيدة دينية لها أدلتها النصية عندهم، ولها مرتكز في قاعدة الإيمان اليهودي، ولها انعكاس في سلوكهم تجاه أنفسهم وتجاه الغير. وطالما أن الاختيار والاصطفاء عقيدة فلا يمكن أن يتنازل اليهود عنها حتى يتنازلوا عن يهوديتهم!

٣- جاء الاختيار والاصطفاء مشروطا من خلال نصوص العهد القديم، ولم يلتزم اليهود بهذه الشروط.

٤- بفضل الاختيار والتفضيل اشتهرت الديانة اليهودية، عبر التاريخ بأنها ديانة غير تبشيرية أي أنها ديانة لا تسعى إلى جعل رسالتها رسالة عالمية لكل البشرية.

٥- تُعد هذه العقيدة أحد الأسباب التي أدت إلى عدم اندماج اليهود مع غيرهم، وانعزالهم في أحياء سميت "جيتو " حالمين باليوم الذي سيفرضون فيه سيطرتهم على العالم كله.

٦- ارتكاز الفكر الديني اليهودي على مبدأي الاصطفاء الإلهي للشعب اليهودي، وامتلاك الأرض المقدّسة أسهم في تشكيل العقلية والشخصية اليهودية في نزعتها الانفصالية عن الأمم الأخرى.

٧- نجد أن الفكر الديني اليهودي قد صاغ العقلية أو الشخصية اليهودية في إطار من الانعزالية العنصرية التي تسبغ على اليهود صفات المديح

---

١٣٦ - روجيه جارودى، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، صـ ١٠٣، والمشار إليه هو أندريه لودوز.

والتعظيم للذات، في الوقت الذي تتعامل فيه مع الآخرين بسيل من الأوصاف العنصرية والشتائم، مما يوحي على أن الاستعلاء العنصري أساس ثابت في تكوينها.

٨- تنص نصوص العهد القديم والتلمود على أن اليهود يشكلون عنصرًا مميزًا على سائر العناصر البشرية، وشعباً متميزًا على كافة الشعوب بخصائصه وتفرده.

٩- تعرّض مفهوم الاختيار في نصوص أسفار العهد القديم للانتقاد من مفكري اليهود أنفسهم.

ثبت بالمصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- الكتاب المقدس (أي العهد القديم والجديد)، دار: الكتاب المقدس، مصر، ط٣، ٢٠١٢م.

- المراجع العربية:

١- ابن منظور جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، دار: صادر، بيروت، لبان، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢- أبو الحسين احمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار: الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار: الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) تحقيق: مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، العين، دار: الرشيد، بغداد، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

٥- أحمد لطفي عبد السلام، جذور العنف والعنصرية في الفكر الديني اليهودي وامتداده إلى الدولة الإسرائيلية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٦- اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسِّياسة، ترجمة وتقديم: د. حسن حنفي، دار: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥ م.
٧- إسحاق موسى الحسيني، العنصرية أساس قيام إسرائيل، مجلة البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، العدد ٣، مارس ١٩٧٢ م.
٨- أسعد رزوق، التلمود والصهيونية، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م.
٩- ـــــــــــ، المركز الأميركي اليهودي، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧٠م.
١٠- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق د. أحمد أبو ملحم، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١١- أفرايم ومناحيم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة: احمد بركات العجرمي، دار الجليل، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٨م .
١٢- امين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، الكويت، ١٩٨٤م.
١٣- بولس حنا مسعد، همجية التعاليم الصهيونية، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
١٤- التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١١م.
١٥- جان فرنسيس هلد، رحلة فى قلب إسرائيل (الشرخ)، ترجمة: حسان يوسف. دار المروج، بيروت، ١٩٨٦م.
١٦- جبر الهلول، المواثيق والعهود فى ممارسات اليهود: قراءة فى الفكر الدينى والفكر السياسي اليهودي المعاصر، مجد للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م.

١٧- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب المحيط، قدم له: عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ت.

١٨- د. أحمد ايبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، دار قتيبة، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

١٩- د. إسماعيل راجى الفاروقي، أصول الصهيونية فى الدين اليهودي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٠- د. أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، عدد فبراير ١٩٨٤م.

٢١- د. جمال البدري، السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، دار الأوائل للطباعة والنشر دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٢- د. حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، دار: القلم، دمشق، دار: العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٣- د. رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٦ م.

٢٤- ـــــــــــــــــــ، موسوعة المصطلحات الدينية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢٥- د. روهلنج، الكنز المرصود فى قواعد التلمود، ترجمة: د. يوسف نصر الله، تقديم: د. مصطفى أحمد الزرقا، د. حسن ظاظا، دار: القلم دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢٦- د. عبد الوهاب المسيري محمد، الأيدولوجية الصهيونية، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٢.

٢٧- ـــــــــــــــــــ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار: الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

٢٨- د. عماد علي عبد السميع حسين، الإسلام واليهودية، دارسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، دار: الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٩- د. محمد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، دار: المسيرة، عمان، الأردن، ط٣، ٢٠١٤م.
٣٠- د. محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، عدد ٢٠، القاهرة، ٢٠٠١م.
٣١- د. محمد خليفة حسن، الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٤، د.ت.
٣٢- د. محمد عبد الله الشرقاوي، بحث فى مقارنة الأديان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٢٠٠٠م.
٣٣- د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ترجمة متن التلمود (المشنا)، ترجمة وتعليق: د. مصطفى عبد المعبود، تقديم: أ د. محمد خليفة حسن، مكتبة النافذة، ٢٠٠٧ م.
٣٤- د. هدى درويش، الجذور الدينية للصراع السياسي فى إسرائيل، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
٣٥- د. ميشيل شيحة، جذور الفكر الصهيوني وسياسة التمييز العنصري في إسرائيل "، مجلة: جامعة دمشق، المجلد ١٩، العدد الثاني، ٢٠٠٣م.
٣٦- روجيه جارودى، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة: قصي أتاسي؛ ميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ١٩٩١م
٣٧- ـــــــــــــ، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣٨- صلاح الزرو، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، رابطة الجامعيين، فلسطين، ١٩٩٠م.
٣٩- عابد توفيق الهاشمي، عقيدة اليهود في تملك فلسطين وتفنيدها قرآناً وتوراة وإنجيلاً وتاريخاً، مكتبة أم القرى، القاهرة، ١٩٩٠م.

٤٠- عبد السميع الهراوي، الصهيونية بين الدين والسياسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م.
٤١- عبد الوهاب محمد الجبوري، مقدمة في الفرق الدينية اليهودية القديمة والمعاصرة، شركة دار: الوراق، لندن، ٢٠٠٨م.
٤٢- عبد الوهاب عبد السلام طويلة، مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم، دار القلم، دمشق، د.ت، د.ط.
٤٣- عبير سهام مهدي، التعصب في الفكر الصهيوني، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٢م.
٤٤- عز الدين عليلو، وكريمة نور عيساوي وعبد الكريم بولحدو، الديانات السماية الكلمات المفاتيح (اليهودية)، تقديم وتنسيق: سعيد كفايتي ومحمد زهير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. سايس- فاس، المغرب، ط١، ٢٠١١م.
٤٥- غازي السعدى، من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين: مجازر وممارسات (١٩٣٦- ١٩٨٣)، دار: الجليل، عمان، ط١، ١٩٨٥م.
٤٦- كمال عون، اليهود أعداء الإنسانية من كتابهم المقدس، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، طـ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٥م.
٤٧- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة رسالة، بيروت، لبنان، طـ ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٤٨- محمد عبد الواحد حجازي، منهج اليهود في تزييف التاريخ، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، طـ١، د. ت.
٤٩- محمد عزة دروزة، الجذور القديمة لأحداث بني إسرائيل واليهود وسلوكهم وأخلاقهم، مكتبة أطلس، دمشق، ١٣٨٨هـ -١٩٦٩م.
٥٠- محمد على الزغبي، دفائن النفس اليهودية من خلال الكتب المقدسة. لبنان- بيروت، ١٩٦٨م.
٥١- محمود عبد الله عباس إبراهيم سليمان الشال، أخلاقيات التعامل مع الأسرى فى اليهودية والإسلام " دراسة مقارنة "، رسالة ماجستير، المعهد الآسيوي، جامعة الزقازيق، ٢٠١٥م.

٥٢- المعجم الموسوعى للديانات والعقائد والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، تعريب وتصنيف وتقديم: د. سهيل ذكار، دار: الكتاب العربى، دمشق، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٥٣- معين أحمد محمود، الصهيونية والنازية، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ١٩٧١م.
٥٤- هشام محمد أبو حاكمه، الأساطير المؤسسة للتاريخ الإسرائيلي القديم، دار: اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، دار: الجيل، عمان، الأردن، ٢٠١٤م.
٥٥- هند بنت دخيل الله القثامي، أثر عقيدة اليهود فى موقفهم من الأمم الأخرى، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ - ١٤٢١هـ.
٥٦- وجيه محمد إبراهيم محمد معوض، الحرب عند بنى إسرائيل من خلال العهد القديم، رسالة دكتوراه، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٥٧- يحزقيل قوجمان، قاموس عبري - عربي، مكتبة المحتسب، عمان، الأردن، ١٩٧٠م.

- المراجع العبرية:

١- אבן שושן, אברהם: המלון החדש, בשבעה כרכים, הוצאת קרית - ספר, ירושלים, ١٩٨٣.
٢- אבן שושן, אברהם: קונקורדנציה חדשה, לתורה נביאים וכתובים, אוצר לשון המקרא עברית וארמית שרשים, מלים שמות פרטיים. צרופים ורדפים. הוצאת" קרית ספר, ירושלים ١٩٨٧.
٣- גולדוסר, יצחק פינחס בן יהודה ספר מי זהבעל – הערות וביאורים, רעיונות וחידושים על סדר פרשיות תורה שבכתב, תשס"ה בני – ברק.

٤- האנציקלופדיה העברית, כללית, יהודית וארצישראלית, חברה להוצאת אנציקלופדיות בע"מ, ירושלים -תשי"ד – תל – אביב.
٥- יצחק, ספיבק,רש"י, תקופתו, תולדתיו, פועל חייו, והשפעתו בדורות, ירושלים, ١٩٦٩.
٦- קארף, משה מרדכי: ספר ויבינו במקרא - ויקרא נדפס בארץ ישראל، קרית ספר، ירושלים תש"ע.
٧- קרקובסקי, מנחם מוילנה: ספר ארזי הלבנון - קבץ דרשות – יצא לאור ע״י אלמנת הגאון המחבר, הרבנית בדנה בת הגאון، רבן של ישראל רבני א ליהו הלוי פיינשטיין זצ״ל، וילנה שנת תרצ״ו.
٨- שיינערמאן, משה יוסף: ספר אהל משה על התורה - ספר ויקרא – ברוקלין ניו יארק، תש"ע.

- **المراجع الأجنبية:**

1 - ENCYCLOPEDIA JUDAICA, JERSUSALEM,1992.

2 - J.M.Powis Smith , The Chosen People , The American Journal of Semitic Language & Literature , Vol.XLV , January ,1929.

3 - Kohler, Jewish Theology, Macmillan Company ,New York,1918.

4 - Zev ben Shimon Halevi, Kabbalah and Exodus, Shambbalal Baulder, 1980.